سلسلة المعارف الإسلاميّة

الوجيز في علوم القرآن





شبكة المعارف الإسلامية





الوجيز في علوم القرآن

اسـم الكـتـاب:	الوجيز في علوم القرآن
إعـــــــداد:	مركز نون للتأليف والترجمة
نــشـــــــر:	جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
الطبعة الثانية:	2014م - 1435هـ

سلسلة المعارف الإسلاميّة

الوجيز في علوم القرآن





الفهرس



المقدّمة

الحمـد للّه رب العالميـن وصـلى اللّه على سـيّدنا محمـد وعلى آلـه الطاهرين، وصحبه المنتجبين وبعد.

للقـرآن الكريم ما لا يخفى مـن الدور العظيم في تثبيت الإنسـان والمجتمع على صـراط النجاة المستقيم. وقد وردت العديد من الآيات القرآنية والروايات المباركة التـي أكّدت على أهمية دراسـة القـرآن الكريم والغور في أسـرار آياته. فالتحدّيات العالميـة التي تواجهها الأمة اليـوم، والغزو الثقافي، كما المادي، الذي يحيط بالأمة مـن كل اتجاه، يجعل من القرآن الكريم خير قائد ودليل، ومنبعاً للفكر الوضّاء الذي يستطيـع أن ينقذ روحانيـة الإنسان، وكيانـه ووجوده، ويبقي علـى ارتباطه المعنوي بالحق عز وعلا، بل إنّ محور بقاء دولة الحق ووجودها يبقى مرتهناً بالفهم الحقيقي لكتاب اللّه تعالى تمهيداً لتطبيقه في تربية الإنسان وإدارة المجتمع والناس...

ومـن هنا يظهر الهدف من هـذا الكتاب، **الوجيز في علوم القـرآن**؛ فإنّه وبسبب الحاجـة المتزايدة إلى فهم القرآن فهماً علمياً واعيـاً وعميقاً، كانت ضرورة دراسة مجموعة من العلوم الموصلة إلى ذلك. ومن أهمّها علوم القرآن.

وتحصيـلاً لهذه الغاية تصدّى مركز نون للتأليف والترجمة بتقديم مجموعة من مباحـث علوم القرآن بأسلوب مختصر ومبسّط في هـذا الكتاب. علماً بأنّنا أصدرنا كتاباً تخصّصيّاً ومفصّلاً في علوم القرآن (دروس في علوم القرآن).

وأمـا المنهـج الـذي اتبعناه في هـذا الكتاب، فهو يجمـع بين الإيجـاز، وسلاسة العبـارة، والدقـة العلمية، والاستـدلال والنقد حيث تدعو الحاجـة. إضافة إلى وضع الأهداف الخاصة بداية كل درس، والأسئلة والتمارين نهاية كل درس.

علـى أمل، وبفضل الله تعالى ، أن يكون لهذا الكتاب والجهد أثره العلمي المتميّز في ساحتنا التعليمية والثقافية بشكل خاص، والإسلامية بشكل عام.

والحمد لله رب العالمين





الدرس الأوّل

الوحي الرِّسالي



أهداف الدرس

1 - أنْ يتعرَّف الطالب إلى معنى الوحي لغة واصطلاحاً.

2 - أنْ يميّز بين أقسام الوحي.

3 - أنْ يعدِّد أساليبَ الوحي الرِّسالي.



تمهيد

إن مـن أهمّ الأبحاث المرتبطة بعلوم القـرآن الكريم هي مسألة الوحي، حيث إن الأنبيـاء سلام اللّه عليهم كانوا سفـراء الخالق إلى المخلوقين، وكانوا يتّصلون باللّه سبحانـه وتعالى عبر الوحي وبأساليب مختلفة، ومن هنا كان من الضروري أن نُقدّم بحـث الوحي وما يتعلّـق به من أمور على سائـر أبحاث علوم القـرآن، كما أن أهمية القرآن الكريم أنه وحي من اللّه على النبيّ الخاتم ﷺ، فالبحث عن العلوم المرتبطة بالقـرآن متوقّفة على فهم معنى الوحي وكيف كان القـرآن وحياً، وكيف اتصل النبيّ الأكـرم ﷺ باللّه سبحانه، من هنا نبدأ بتعريف الوحـي، ثمّ نتعرّف في هذا الدرس إلى أقسامه وأساليبه إن شاء اللّه تعالى.

الوحي في اللغة والاصطلاح

الـذي يُستفاد مـن تتبّع الاستعمالات القرآنيـة وأقوال أهل اللّغـة أن للوحي معنى واحداً وهو الخطاب الخفي.

ولكـن الخفاء يكون على أنحاء متعدّدة، فتارة يكون خفياً في نفسه، يُسرّه المتكلّم إلـى المخاطب، وأخرى يكـون خفاؤه من جهة كونه يُعبّر عنـه بالإشارات والإيماءات التي تخفى على غير المقصود بالخطاب، أو يخفى مدلولها عنه.

ونفس هذا المعنى للوحي ورد استعماله في القرآن الكريم:

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ...﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾[2].

أقسام الوحي

بعد تتبّع استعمالات القرآن الكريم لكلمة الوحي والتي كانت بمعنى الخطاب الخفي، نجد أنها تنقسم إلى قسمين رئيسين مهمّين لا ثالث لهما:

الوحي الرِّسالي، والوحي غير الرِّسالي وسوف نتحدّث في هذا الدرس عن الوحي الرِّسالي وأساليبه، تاركين البحث عن الوحي غير الرِّسالي للدرس القادم إن شاء الله تعالى.

أولاً: الوحي الرِّسالي:

1 - المعنى

وهو وسيلة الاتصال بين الباري عزّ وجلّ وبين سفرائه إلى خلقه.

وعن طريق الوحي الرِّسالي يتمّ تلقّي المعارف والأحكام وغير ذلك من شؤون الرسالة. وهذا القسم هو الأكثر استخداماً في القرآن الكريم، وفي الروايات الشريفة، ولذلك أصبح المعنى المتبادر والمنصرف للذهن عند سماع كلمة الوحي، ومن هنا إذا وردت كلمة الوحي وشككنا من أيّ معنى وأيّ قسم هي، هل من الوحي الرِّسالي أم غيره؟ كان المنصرف إلى الذهن هو الوحي الرِّسالي.

(1) سورة النساء، الآية: 163.
(2) سورة النحل، الآية: 68.

2 - أغراض الوحي الرسالي

وهذا الوحي الرِّسالي النازل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتي لأغراض عدّة ومضامين شتّى، نذكر منها لا على سبيل الحصر:

أ. لبيان الذكر الحكيم والقرآن الكريم؛ الذي هو نصّ كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على رسوله، وهو المتصف بالإعجاز، والوحي النازل به قد يختص باسم الوحي القرآني.

ب. لتأويل وتفسير كلام الله تعالى الوارد في القرآن الكريم.

ج. لبيان الأحاديث القدسية التي لا تدخل في الوحي القرآني.

د. لذكر تفاصيل الشريعة وأحكامها ومعارفها وما يتعلّق بها.

هـ. لبيان ما يرتبط بشؤون الإمامة والتدبير وشؤون الحكم ممّا يحتاجه الرسول في مهمّته القيادية.

و. لذكر ما يرتبط بأخبار العالم والمغيّبات والحوادث السابقة واللاحقة، وهذا أيضاً يدخل في دائرة علوم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي قد تقتضيها رسالته وقيادته الإصلاحية على مستوى عمر الدنيا.

3 - أساليب الوحي الرِّسالي

والوحي الرِّسالي بشكل عام له أساليب متعدّدة ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة المنقولة لنا عن طريق الرواة الثقاة، أو الواصلة إلينا عبر أئمة الهدى من أهل بيت النبوّة، ومن هذه الأساليب ما يلي:

أ- التكليم المباشر دون توسّط الملاك

هذا الأسلوب من الوحي يتمّ حال اليقظة: كما حصل للنبي آدم عليه السلام: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾[1].

(1) سورة الأعراف، الآية: 22.

ومـا جـرى مـع النبـيّ إبراهيـم عليه السلام: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ ﴾[1].

وفي قصة نبيّ اللّه موسى عليه السلام: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[2].

ب-الإيحاء بواسطة ملك

وهذا الأسلوب له شواهد عديدة جداً، ولعله الأسلوب الأكثر شيوعاً والأغلب وقوعاً.

قال تعالى في قصة نبـيّ اللّه زكريا عليه السلام: ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ ﴾[3].

وقال سبحانه في الحديث عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[4].

ج- الرؤيا في المنام

فـإن «**رؤيا الأنبيـاء وحي**»[5] كما ورد عن أميـر المؤمنين عليه السلام، وورد عن عبيد بن عمير مقطوعاً[6].

ولهذا الأسلوب من الوحي في القرآن الكريم شواهد عدّة نذكر واحداً منها:

قوله تعالى في قصة النبيّ إبراهيم عليه السلام:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ

(1) سورة الصافات، الآيتان: 104و 105.
(2) سورة النساء، الآية: 164.
(3) سورة آل عمران، الآية: 39.
(4) سورة البقرة، الآية: 97.
(5) راجع لسان العرب لابن منظور الأفريقي مادة وحى، وغيره من كتب اللّغة.
(6) المصدر السابق.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

فقول النبيّ إسماعيل عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾[2] يكشف عن أن رؤيا والده تلك كانت وحياً وأمراً إلهيّاً بُلّغ إياه عن طريق الرؤيا، وما كان النبيّ إبراهيم عليه السلام ليقدم على ذبح ولده لمجرد رؤيا لو لم تكن تلك الرؤيا وحياً وأمراً إلهيّاً لازماً بالنسبة إليه.

د- الإلهام

وقد يُعبّر عنه بالإلقاء في الروع، وهو لا يغاير بقية أنحاء الوحي من حيث النتيجة ومن حيث اليقين والاطمئنان بمصدر الإلهام، وإن غايرها من حيث الأسلوب والشكل.

وقد صرّحت النصوص بأن الإلقاء في الروع كان أحد أساليب الوحي الرِّسالي، منها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**ألا إنّ الروح الأمين نفث في روعي: إنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب...**»[3].

لقد جُمعَتْ أساليب الوحي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾[4].

النتيجة إذن يمكن إدخال الإلهام والنفث في الروع في القسم الثاني الذي هو الإيحاء بواسطة ملك. فإن إيحاء الملك يكون على أنحاء:

- فتارة يكون بسماع الصَّوت ومشاهدة الصُّورة.
- وأخرى بسماعه من دون مشاهدة.
- وثالثة بالإلقاء في الروع دون توسُّط صوت.

(1) سورة الصافات، الآيات: 102-105.
(2) سورة الصافات، الآية: 102
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج11، ص64.
(4) سورة الشورى، الآية: 51.

فالوحـــي هو الإلهام ومــن وراء حجاب هو التكليم المباشر، وإنمــا سمّاه من وراء حجاب لأنه بواسطة صوت دون رؤية المصدر، وإرسال الرسول هو الإيحاء من خلال الملاك.

وربمــا كان تخصيص النحو الأول باسم الوحي هنا لأنه أشد خفاءً من الثاني فهو بالنسبة إليه مختص باسم الوحي.

فملاحظة الخفاء أمر نسبيّ قد يلاحظ بالنسبة لغير النبيّ، وقد يلاحظ بالنسبة لبعض حواس النبيّ دون بعض.



أجب عن الأسئلة التالية؟

1 - عرّف معنى الوحي في اللغة والاصطلاح؟

....

....

2 - عدّد أقسام الوحي مع توضيح كل قسم بشكل مختصر؟

....

....

3 - ما هو الوحي الرسالي؟

....

....

4 - حدّد أهم الأغراض التي من أجلها نزل الوحي؟

....

....

5 - تحدّث عن أهم أساليب الوحي الرسالي باختصار؟

....

....

حدّد أسلوب الوحي المستخدم في الآيات القرآنية التالية:

1. ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[1] ....
2. ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ..﴾.[2] ....
3. ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ...﴾[3] ....
4. ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4] ....
5. ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾[5] ....

أجب بـ ✔ أو ✘:

1 - كل وحي نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو قرآن ☐

2 - ذكر الوحي في القرآن الكريم بمعانٍ عديدة كالتكليم والإلهام ☐

3 - لا يختصّ الوحي الإلهي بالأمور الرسالية ☐

4 - استعملت كلمة الوحي في القرآن بمعنى الخطاب الخفي ☐

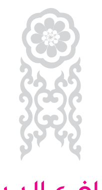
5 - الوحي الرسالي هو لأجل تلقّي المعارف والأحكام وشؤون الناس ☐

(1) سورة الأعراف، الآية: 143.
(2) سورة الصافات، الآية: 104.
(3) سورة البقرة، الآية: 97.
(4) سورة الصافات، الآيات: 102 – 105.
(5) سورة مريم، الآية: 52.



الدرس الثاني

الوحي غير الرِّسالي



أهداف الدرس

1- أنْ يتعرَّف الطالب إلى موارد الوحي غير الرِّسالي.

2- أنْ يتعرَّف إلى أساليب الوحي مع النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

3- أنْ يجيب على شبهة خوف النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عند نزول الوحي عليه.



تمهيد

تقدّم في الدرس السابق أن الوحي الذي هو الخطاب الخفي لغة واستعمالاً ينقسم إلى قسمين رئيسين، رسالي وغير رسالي، وقد انتهى الحديث عن الوحي الرِّسالي في الدرس السابق، وفي هذا الدرس سوف نتعرض للوحي غير الرِّسالي، وهذا يساعد على فهم بحث الوحي بشكل أفضل، ويساعدنا على التمييز بين أقسام الوحي بشكل أدق.

ثانياً: الوحي غير الرِّسالي:

لا تختصّ الأساليب الثلاثة (التكليم المباشر، ومن خلال ملك، ومن خلال الرؤيا في المنام) من الوحي، والتي تقدّم ذكرها في الوحي الرِّسالي، بالأنبياء عليهم السلام، ولا تختصّ أيضاً بوحي النبوّة، بل هي تجري مع غير الأنبياء أيضاً، وفي الأغراض الأخرى غير الرِّسالية، كما هو الحال بالنسبة لعددٍ من الصالحين:

الوحي إلى البشر

1 - فمع أمّ موسى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ... ﴾[1].

(1) سورة القصص، الآية: 7.

ومـع مريـم بنـت عمـران عليها السلام: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ومن الواضح أنّ هذه الأغراض لم تكن رسالية، ولم يلزم من نزول الملائكة فيها نبوة المخاطب والمنزل عليهم.

2 - الوحـي بالأوامر التكوينية: وقد عبّر القرآن الكريم في بعض الموارد عن الأوامر التكوينية بالوحـي أيضاً، كما في قوله تعالـى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[2] وفي قوله أيضاً: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[3].

3 - الوحي بالأوامر التدبيرية: كما أنَّ إبلاغ الأوامر التدبيرية إلى الملائكة وحيٌ أيضاً في نصّ القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾[4].

4 - الوحـي بإيـداع الأمـور الفطريـة: وورد أيضـاً التعبيـر بـه عـن إيـداع الأمـور الفطريـة والغريزية لـدى الحيوانات وإلهامها ما ينبغي لهـا، كما في قوله تعالـى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[5].

والنتيجـة التـي نتوصّـل إليها من مجموع هـذه الآيات: أنّ الوحـي لا يلازم النبوة ولا يختصّ بالأمـور الرِّسالية ومـا يعبّر عنه بوحي الرسالة، بل يتعـدّى إلى كثير من الأغراض والموارد الأخرى.



(1) سورة آل عمران، الآيةك 42.
(2) سورة فصّلت، الآية: 12.
(3) سورة الزلزلة، الآيتان: 5-4.
(4) سورة الأنفال، الآية: 12.
(5) سورة النحل، الآية: 68.

رسول الله ﷺ والوحي

الذي يتحصّل من مجموع النصوص الواردة في كيفية نزول الوحي عليه، أنّه ﷺ كان يوحى إليه بكل أساليب الوحي المتقدّمة ولمختلف الأغراض.

1- الرؤيا في المنام:

ففـي بعض النصوص أنه ﷺ كان يوحى إليـه عن طريق الرؤيا في المنام خاصة في الفترة الأولى من نبوته قبل نزول جبرئيل عليه السلام؛ فعن محمد بن علي بن النعمان الأحـول قال: سألـت أبا جعفـر عليه السلام عن الرسـول والنبيّ والمحـدَّث، قال عليه السلام: «**الرسـول الذي يأتيـه جبرئيل قُبُلاً فيراه ويكلّمه، فهـذا الرسول، وأما النبيّ فهو الـذي يـرى في منامه نحـو رؤيا إبراهيم عليه السلام ونحو مـا كان رأى رسول الله ﷺ من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة، وكان محمـد ﷺ حين جمـع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل ويكلمـه بهـا قبلاً، ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويـرى في منامه ويأتيه الروح ويكلّمـه ويحدّثـه، مـن غيـر أن يكون يرى فـي اليقظـة. وأما المحـدَّث فهو الذي يحدَّث فيسمع، ولا يعاين ولا يرى في منامه**»[1].

والرؤيا لم تنقطع عنه ﷺ بعد نزول جبرئيل عليه السلام بالوحي على قلبه، وبعد أن نزل عليه الوحي المباشر كما سيأتي، فإن القرآن الكريم يشير إلى حصول ذلك فيما بعد أيضاً[2].

قـال تعالـى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[3]. وقـال تعالـى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ...﴾[4].

---

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج1، ص176.
(2) البخاري، الجامع الصحيح، الباب الخامس من أبواب الوضوء، ج1، ص44.
(3) سورة الفتح، الآية: 27.
(4) سورة الأنفال، الآية: 43.

2 - الإيحاء بواسطة الملك:

وأما المرحلة الثانية فكانت مرحلة نزول الوحي بواسطة الروح الأمين جبرئيل عليه السلام على قلب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ... ﴾[2].

وقد وردت بعض الروايات بأن جبرئيل عليه السلام كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصورة إنسان جميل الطلعة، فيحدّثه ويقرأ عليه القرآن الكريم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأنس به، وقد رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صورته الحقيقية الملائكية مرتين تحدّث عنهما سورة النجم: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[3].

فالمرّة الأولى رآه صلى الله عليه وآله وسلم في بدء الوحي: ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[4] فسدّ ما بين المشرق والمغرب.

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ فيما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم سأل جبرئيل عليه السلام أن يريه نفسه مرة أخرى على صورته التي خلقه الله عليها، فأراه صورته فسدّ الأفق أيضاً[5].

(1) سورة الشعراء، الآيتان: 193 - 194.
(2) سورة البقرة، الآية: 97.
(3) سورة النجم، الآيات: 4- 14.
(4) سورة النجم، الآية: 7.
(5) العلامة المجلسي، بحار الأنوار،ج18، ص260. الشيخ الصدوق، كمال الدين،ص85.

3 - **التكليم المباشر:**

روي أن الإمام الصادق عليه السلام سئل عن الغشية التي كانت تأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أكانت عند هبوط جبرئيل؟

فقال: «**لا، إن جبرئيل كان إذا أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخل عليه حتى يستأذنه وإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد، وإنما ذاك عند مخاطبة الله عزّ وجلّ إياه بغير ترجمان وواسطة**»[1].

كيف يعلم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّ ما نزل عليه هو وحي؟

الثابت أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان منذ اللحظة الأولى على بيّنة من أمره، والله سبحانه لا يختار لرسالته وثقلها إلاّ من صنع على عينه وهيّء لحملها؟!

وقد كانت الكرامات الكثيرة التي ظهرت له ورويت عنه تشكل إرهاصات للنبوة، بحيث أنه لما نزل عليه الروح الأمين كان على بينة من أمره، وعلى بصيرة ثابتة ويقين مما جاءه، وإلى هذا تشير عدة روايات وردت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فعن زرارة أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: «**كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يأتيه من قبل الله أن يكون مما ينزغ به الشيطان؟ فقال: إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار فكان الذي يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه**»[2].

ويحسن الإشارة هنا إلى أنّ بعض مما يروى في كيفيّة نزول الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم ومن حالة الهلع التي أصيب بها، ومن لجوئه إلى خديجة التي هدّأت من روعه، واكتشفت هي نبوّته قبل أن يعرف ذلك هو، أو عرضت أمره على ورقة بن نوفل أو غيره من

(1) الشيخ هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن،ج1، ص76.
(2) م.ن.

الأحبـار أو الرهبان فأخبروها بأنّه نبـي، كل ذلك مما لا يمكن القبول به، ولا يتصور النبـيّ ﷺ شـاكاً في نبوته، ولا جاهـلاً بالوضع الذي هو عليه، حتـى يحتاج إلى من يطمئنه من أمثال هؤلاء، هذا بالإضافة إلى تهافت تلك النصوص وتضاربها، وضعف أسانيدها وإن رويت في كتب أطلق عليها اسم الصحاح.

ومثـل هذا الكلام يجري فـي أسطورة «**الغرانيق**» وأمثالهـا مما لا نشك ببطلانه واستحالته، ونعتقد أنه مما دسّ في الأخبار لغرض التشكيك والطعن والتشويه، شأنه شأن الكثير من الإسرائيليات[1].



(1) راجع: جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم ﷺ، ج2، ص287.



أجب عن الأسئلة التالية؟

1 - عرّف الوحي غير الرسالي؟

....

....

2 - ماذا نعني بالوحي بالأوامر التكوينية؟

....

....

3 - ماذا نعني بالوحي بإيداع الأمور الفطرية؟

....

....

4 - ما هي الأساليب التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوحى إليه بها؟

....

....

5 - كيف كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أن ما نزل عليه هو وحي؟

....

....

اذكر أيّاً من هذه الآيات هو وحي رسالي وأيّها غير رسالي:

1- ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ ﴾[1] ....

2- ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ...﴾[2] ....

3- ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي ...﴾[3] ....

4- ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[4] ....

5- ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ..﴾[5] ....

6- ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ..﴾[6] ....

7- ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾[7] ....

8- ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ... وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ... قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ...﴾[8] ....

9- ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴾[9] ....

10 - ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ ..﴾[10] ....

---

(1) سورة يونس، الآية:20.
(2) سورة فصلت، الآية:12.
(3) سورة المائدة، الآية:111.
(4) سورة مريم، الآية:11.
(5) سورة مريم، الآية:17.
(6) سورة الأنعام، الآية:121
(7) سورة القصص، الآية:7.
(8) سورة هود، الآيات: 69ـ73
(9) سورة طه، الآية:13.
(10) سورة آل عمران، الآية:45.

اذكر أسلوب الوحي الذي استخدم مع النبيّ الأكرم ﷺ في هذه الآيات القرآنية:

1- ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] ....

2- ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ...﴾[2] ....

3- ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ..﴾[3] ....

4- ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[4] ....

(1) سورة الفتح، الآية:27.
(2) سورة الأنفال، الآية:43
(3) سورة البقرة، الآية:97.
(4) سورة الشعراء، الآيتان: 193 - 194.



الدرس الثالث

نزول القرآن



أهداف الدرس

1 - أن يتعرَّف الطالب إلى ما نزل من القرآن.

2 - أن يميّز بين النُّزول الدَّفعي والتَّدريجي.

3 - أن يميّز بين البعثة ونزول القرآن.



تمهيد

بعـد أن عرفنا معنــى الوحي وأقسامه وأساليبه، كان مــن الضروري جداً التركيز علــى خصوص الوحــي القرآني الذي نزل على النبيّ الأكــرمﷺ، هل نزل بمعناه أم بلفظــه، وأول ما نزل، ومتى كان النــزول، وكيفية نزول القرآن دفعة واحدة وفي نفس الوقــت نزل بمناسبات متعدّدة وعلــى مدار سنوات تبليغ الرسالــة، وفي هذا الدرس إجابة عن كثير من الشبهات العالقة والحسّاسة.

ما نزل من القرآن

إنّ الــرأي الصحيح والذي عليه عامة أهل التحقيق هو أن القرآن الكريم نزل من عنــد الله بألفاظه نفسها التــي قرأها الرسول ﷺعلى النــاس[1]، وهذا يجعل لتلك الألفــاظ قدسية، يتعبّد بتلاوتهــا، ولا يجوز تبديلها بغيرهــا، ولا التصرّف بها، حتى بالمرادفــات.. وبذلــك يفرّق بين القرآن الكريم والحديــث القدسي الذي نزل معناه دون لفظــه، وعبّــر عنه الرسول ﷺ بلسانه وألفاظه وأسلوبــه وصياغته، ولأجل ذلك كان اللفــظ القرآني يتّصــف بالإعجاز البلاغي، ولو كان مــن صياغة النبيّ ﷺ لما اختلف عن الحديث القدسي صياغة، ومن وجهة نظر بلاغية على الأقل، ولما اختلف

(1) وهناك قولان آخران غير مشهورين هما:

أ. أنه نزل القرآن بالمعاني خاصة على الرسول ﷺ، فعبر عنه االرسول ﷺ بلغة العرب.

ب. أن المعانــي ألقيــت علــى جبرئيــل، فألقاها إلى الرســول ﷺ بلغة العرب بتعبيره، وأن أهــل السماء يقرؤونه بالعربية. راجع: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص291.

عن مطلق الحديث الذي تحدّث به الرسول ﷺ، مع أن كلًّا منهما له من الخصائص والأسلوب ما يميّزه عن الآخر.

ويشهد على كون القرآن نازلاً بلفظه من عند اللّه تعالى، توجيه الخطاب في كثير من آياته إلى النبيّ ﷺ بعبارة ﴿قُلْ﴾؛ حيث تكرّرت في أكثر من ثلاثمائة مورد، ممّا يدلّ على عدم تدخّل النبيّ ﷺ في صياغة الوحي، فهو مخاطب به لا متكلّم، حاكٍ لما يسمعه لا معبّر.

وقد قال تعالى: ﴿...إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[1].

أوّل ما نزل من القرآن

ورد في الكثير من النصوص المروية عن أهل البيت عليهم السلام وغيرهم أن أول ما نزل من القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2]، وهذا هو الرأي المشهور بين علماء المسلمين[3].

متى بدأ نزول القرآن؟

لا خلاف في أن بدء نزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان المبارك، والآيات الكريمة التي صرّحت بنزول القرآن فيه متعدّدة:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[4].

(1) سورة القيامة، الآيتان:16-18.

(2) سورة العلق، الآيات:1- 5.

(3) وقيل: إن أول ما نـزل من القرآن الفاتحة اعتماداً على أنه ﷺ بعد نـزول الوحي عليه صلى في اليوم التالي هو وخديجة وعلي، والصلاة إنما تكون بفاتحة الكتاب، فلا بد أن تكون الفاتحة هي أول ما نزل من القرآن الكريم. والجواب: بإمكان نزول الفاتحة بعد آيات سورة العلق الخمسة، وإمكان أن تكون صلاتهم آنذاك بلا فاتحة الكتاب، وقبل أن تشرّع الصلاة بها.

(4) سورة القدر، الآية:1.

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[1].

وقال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[2].

وقد ذهب بعض إلى تحديده في السابع عشر منه، وقال آخرون في الثامن عشر، وقال قوم في الرابع والعشرين، وكلها أقوال لا حجة واضحة عليها. والصّحيح كما هو صريح الآيات السَّابقة الذكر أنَّ نزول القرآن بدء في شهر رمضان في ليلة القدر.

النزول الدفعي والتدريجي

قد يظهر من الآيات المتقدّمة التي تتحدّث عن نزول القرآن في شهر رمضان أنَّ نزول القرآن الكريم كان دفعياً؛ بمعنى أنَّهُ نزل بتمامه ودفعةً واحدةً في شهر رمضان. وهذا يخالف ما هو ثابتٌ بالتواتر من أنَّ القرآن نزلَ نُجوماً متفرِّقة على رسول الله ﷺ في الفترة ما بين بعثته ووفاته، وهو أمرٌ يصرِّح به القرآن الكريم نفسه في آيات أخرى حيث يقول تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾[3].

ويقول أيضاً: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾[4].

حل هذا التنافي الظاهري

إنَّ القرآن بدأ نزوله في شهر رمضان المبارك، ثم توالى النزول بعد ذلك في فترات مختلفة، فإنه يصح أن يقال نزل الغيث في الوقت الفلاني مع أنه ينزل

(1) سورة الدخان، الآية: 3.

(2) سورة البقرة، الآية: 185.

(3) سورة الإسراء، الآية: 106.

(4) سورة الفرقان، الآية: 32.

تدريجياً، لأن بدء نزوله كان في ذلك الوقت. ومن جهة أخرى فإن القرآن اسم جنسٍ يُطلق على الكلِّ وعلى البعض، وكلٌّ آية منه فهي قرآن، فلا نحتاج إلى التجوّز في إطلاق القرآن على الآيات الأولى النازلةً في ليلة القدر. وقد تؤرّخ الحوادث الواقعة في فترة ممتدّة بأوّل حدوثها وبتاريخ شروعها، كالمعارك الطويلة الأمد فيقال إنَّ الحربَ الفلانيَّة وقعت في اليوم الفلاني مع أنَّها تستمر بعد ذلك عدّة سنوات[1].

هل هناك تلازم بين البعثة ونزول القرآن؟

روي عن أهل البيت عليهم السلام أن بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانت في السابع والعشرين من رجب، وقد نقل العلامة المجلسي اتفاق الإمامية عليه[2]، وروي عن غيرهم أيضاً[3].

وعليه لا تلازم بين البعثة ونزول القرآن، فالقرآن نزل عليه في شهر رمضان، وفيما بينهما كان نبياً دون أن يكون معه قرآن. ويؤيده ما ورد في بعض النصوص من أن نزول القرآن الكريم كان في السنة الثالثة من البعثة الشريفة، وأن فترة النزول استمرّت مدّة عشرين سنة، عشر منها في مكّة وعشر في المدينة[4].

وسواء ثبت نزول القرآن في السنة الأولى للبعثة أم ثبت كون بدء نزوله في السنة الثالثة، فإن النتيجة عدم التلازم بين تاريخ البعثة ونزول الوحي عليه وبين تاريخ نزول القرآن.

---

(1) وقيل في حل التنافي إن القرآن الكريم له نزولان: أحدهما دفعيّ (لمعاني القرآن الكلية أو لألفاظه إلى البيت المعمور أو إلى السماء الدنيا أو إلى قلب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكل واحد من هذه الاحتمالات عبارة عن قول ذهب إليه عدد من العلماء). والثاني تدريجي، كان ينزل نجوماً بمعنى بين الفترة والفترة وبحسب المناسبات والظروف. وهذا الكلام يتوقّف على الدليل النقلي، وما ذكر من أدلّة غير تامة سنداً ولا دلالة، لذلك لا يمكن الاعتماد عليها، لذا فلا يعدل عن الثابت من النزول التدريجي بالنص والتواتر إلا بدليل ثابت.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج18، ص190.

(3) راجع: السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ج2، ص244.

(4) راجع: الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص629. وتفسير العياشي، ج1، ص80. ومستدرك الحاكم ج2، ص610. والاتقان للسيوطي، ج1، ص146، وغيرها.



أجب عن السؤال التالي؟

1 -هل نزل القرآن الكريم بمعناه أم بلفظه؟

....

....

2 -حدّد أول ما نزل من القرآن الكريم وبرهن على ذلك؟

....

....

3 - متى كان نزول القرآن وكيف كان نزوله؟

....

....

4 - هل كان نزول القرآن على نحو دفعي أو تدريجي؟

....

....

5 - هل هناك تلازم بين البعثة ونزول القرآن؟

....

....

أجب بـ ✔ أو ✖:

1 - أول ما نزل من القرآن الكريم سورة العلق ☐

2 - ما نزل من القرآن الكريم لفظه ومعناه من عند اللّٰه سبحانه ☐

3 - ما نزل من القرآن الكريم معناه على قلب النبيّ ﷺ ☐

4 - النزول الدفعي يعني نزول القرآن دفعة واحدة كان في شهر رمضان ☐

5 - النزول التدريجي يعني تدرّج بالأحكام من الأسهل للأصعب ☐

6 - كلمة ﴿قُلْ﴾ في عدد من السور يشهد على عدم تدخّل النبيّ ﷺ بألفاظ القرآن الكريم ☐

7 - كانت بعثة النبيّ ﷺ في السابع والعشرين من شهر رجب ☐

8 - نزول القرآن كان في السنة الثالثة من البعثة ☐

9 - الحديث القدسي نزل بمعناه على قلب النبيّ ﷺ وهو صاغه بعباراته الخاصة ☐

10 - نزل القرآن الكريم في المعاني نفسها التي قرأها النبيّ ﷺ ☐

على أيّ معنى تدل هذه الآيات، النزول الدفعيّ أم التدريجيّ؟

1- ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾[1] ....

2 - ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[2] ....

3 - ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[3] ....

4 - ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[4] ....

5 - ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[5] ....

(1) سورة القيامة، الآيات:18-16.
(2) سورة العلق، الآيات:1- 5.
(3) سورة القدر، الآية:1.
(4) سورة الدخان، الآية: 3.
(5) سورة البقرة، الآية: 185.



الدرس الرابع

المكّيّ والمدنيّ



أهداف الدرس

1 - أن يميِّز الطالب بين معياري المكي والمدني.

2 - أن يتعرَّف إلى الخلاف في تحديد المكي والمدني.

3 - أن يعدِّد بعض السِّمات البارزة للمكي والمدني.



تمهيد

رافـق نـزول القرآن حيـاة رسـول اللّه ﷺ الرِّساليـة، ونزلت آياته وسـوره لتلبّي احتياجـات المرحلة التي كانـت تعيشها الرسالة، وتتناسب مـع الظروف والتطوّرات التـي رافقت الدعـوة الإسلامية آنذاك، وقد شكّلت هجـرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنـوّرة نقطـة تحوّل رئيسـة قسّمت الحيـاة الرِّساليـة للرسول ﷺ إلـى مرحلتين متمايزتين:

1- **المرحلة المكية**: وهي مرحلة الدعوة التي لم تتجاوز الأفراد.

2- **المرحلة المدنية**: وهي مرحلة الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي.

وقد تبع ذلك تغيّر في طبيعة السور القرآنية النازلة بعد الهجرة.

وقـد عني الباحثـون بدراسة المكـي والمدني من السـور، نظراً لمـا يترتّب على ذلك مـن فوائد وثمرات يُستفاد منها في التفسير وفـي استنباط الأحكام الشرعية. وسيأتـي في بحث الناسخ والمنسوخ، أنه لمعرفة الناسخ من المنسوخ لا بدّ غالباً من معرفـة زمان النزول، وضرورة كون الناسـخ متأخّراً نزولاً عن المنسوخ، وقد يُستفاد مـن معرفة المكي والمدني فـي محاكمة أسباب النزول التي قد يُتلاعب بها لمصالح سياسية معينة.

ما هو معيار المكّي والمدني؟

هناك معياران في تحديد معنى المكي والمدني لكلٍّ واحدٍ منهما قائلٌ:

1 - **زماني**، وهو المعيار الأصحّ والأدقّ وهو الأشهر استعمالاً، وهو النافع في معرفة الناسخ من المنسوخ.

فالمكّي: عبارة عن كل ما نزل في المرحلة المكية، أي قبل الهجرة إلى المدينة المنوّرة.

والمدني: عبارة عن كل ما نزل في المرحلة المدنية أي مرحلة الدولة الإسلامية، فيطلق على النازل بعد الهجرة ويدخل فيه كل ما نزل بمكة عام الفتح أو في حجة الوداع، أو في غير مكة والمدينة كالطائف وحُنَين و...، أثناء الغزوات التي خاضها الرسول ﷺ لو ثبت نزول شيء من القرآن أثناءها.

2 - **مكاني**، وهذا الاصطلاح معمولٌ به عند بعض.

المكي: يطلق على النازل من القرآن الكريم في مكة المكرمة مطلقاً، سواء كان قبل الهجرة أو بعدها، أي في المرحلة المكية وما نزل في مكة بعد الفتح.

المدني: كل ما لم ينزل في مكة فهو مدني.

وعليه فيكون ما نزل في مكة عند الفتح وفي حجة الوداع مكيّاً، رغم كونه بعد الهجرة، بل في أواخر حياة الرسول الأكرم ﷺ.

ولعل الاختلاف الذي نلاحظه أحياناً في مكية السورة أو مدنيتها يرجع إلى الاختلاف في المعيار، ويتبعه اختلاف في الاصطلاح.

كيف نميّز بين المكّي والمدني؟

هناك أمور اعتُبرت علامات تشير إلى زمن نزول الآية، وهل أنها مكية أم مدنية، لكن المشهور بين العلماء أن هذه العلامات ليست قطعية، ولا يعوّل عليها دائماً، فهي ليست سوى مرجّحات تساعد على تحديد المكي من المدني، ومن هذه العلامات:

من علامات السور المكية:

1- كل ما نزل فيه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾.

بناءً على أن طبيعة المرحلة المكية هي الخطاب العام لكل الناس، لا للمؤمنين.

إلاّ أن هذا العنصر أو هذه السمة لا تصلح أن تكون ضابطة تمييز بين المكي والمدني؛ نظراً لورود آياتٍ ثبت أنها مدنية، وهي تخاطب الناس بالخطاب العام مثل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ...﴾[2].

2- ما نزل من القرآن فيه ذكر الأمم.

وهذه الضابطة أيضاً غير دقيقة، لوجود ذكر الأمم في سور مدنية قطعاً، ويكفي مثالاً على ذلك سورة البقرة التي تحدّثت عن قصة موسى وبني إسرائيل مفصلاً ومن الثابت أنها مدنية.

3- السور التي تبدأ بالحروف المقطعة من علامات السور المكية، عدا سورتي البقرة وآل عمران، وفي سورة الرعد خلاف.

4- كل سورة فيها سجدة فهي مكية (طبعاً المراد الأعم من السجدات المستحبة والواجبة).

5- كل سورة فيها لفظ (كلاّ) فهي مكية.

(1) سورة البقرة، الآية 21.
(2) سورة البقرة، الآية 168.

ومن علامات السور المدنية:

1- ما فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، فقد تكوّن المجتمع الإيماني الذي بدأت تخاطبه الآيات بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ في المدينة بعد الهجرة. لذلك ربما لا نجد فيما نصّ على أنه مكيّ خطاباً بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

2- ما كان من الفرائض والسنن وتفاصيل السنن والحدود والأحكام. فإنما نزل بالمجتمع المدني حيث الدولة الإسلامية وسن الشَّرائع والقوانين.

3- كل سورة فيها ذكر للمنافقين فهي مدنية سوى سورة العنكبوت، وقيل: إنّ أولها إلى آخر الآية مدني أيضاً وما عداها فهو مكي، وفي هذه الآيات ذكر الجهاد والمنافقين.

4- كل سورة فيها إذنٌ بالجهاد أو ذكر له وبيان أحكامه فهي مدنية، أو خصوص الآيات المتضمنة لذلك.

5- كل سورة فيها محاجة لأهل الكتاب فهي مدنية.

والحقّ: أن هذه العلامات المميزة مبنية على ملاحظة السور والآيات واستقرائها، وهي جميعها في موارد ثبت بالنقل مكية السورة أو مدنيتها. وعليه فلا يكون هناك ثمرة كبيرة في دراسة هذه المميزات.

وقد بالغ المفسّرون أحياناً في تشخيص المكي والمدني، فعدّوا بعض الآيات الواردة في السور المكية مدنياً، وبالعكس، اعتماداً على وجوه واعتبارات استحسانية لا يصح الاعتماد عليها.

عدد ما نزل في مكة وما نزل بالمدينة من السور:

عدّ الزركشي خمساً وثمانين سورة نزلت في مكة، وتسعاً وعشرين سورة نزلت بالمدينة، وذكر الاختلاف حول بعض السور مثل: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾[1] فقيل إنها آخر ما نزل بمكة وقيل إنها مدنية.

(1) سورة المصطفين، الآية:1

ومثل: سورة الفاتحة، التي ذهب بعضهم إلى أنها أول سورة نزلت كاملة في مكة، وقيل نزلت بعد سورة المدثر، وقيل إنها نزلت بالمدينة، والأشهر أنها مكية، وربما قيل بتكرّر نزولها.

مصحف الإمام علي عليه السلام:

لقد ذكر في نصوص عديدة أنّ هناك مصحفاً خاصاً بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يمتاز بعدّة أمور:

منها: أنه رتّبه على ترتيب النزول فقدّم المتقدّم نزولاً وأخّر المتأخّر نزولاً. ولكن المصاحف التي دوّنت بعد ذلك وخاصة عندما تمّ توحيد رسم المصاحف زمان عثمان بن عفان لم تراعِ الترتيب بحسب النزول، وإنما اعتمدت ترتيباً قريباً إلى حدٍّ مّا مع ما هو عليه المصحف المتداول اليوم.

منها: أنه دوّن فيه التأويل والتفسير كما أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأسباب نزول الآيات.

منها: أنه بيّن فيه المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، بالإضافة إلى ما ذكر من إثبات أسماء أهل الحقّ وأهل الباطل والمنافقين في المناسبات التي نزلت الآيات فيها.

وإلى هذا المعنى تشير النصوص الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في أنه عليه السلام جمع القرآن كما أنزل، أي كما أنزل ترتيباً وتأويلاً وتفسيراً.

أين مصحف الإمام علي عليه السلام؟

بقي هذا المصحف عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وتوارثه أئمة أهل البيت عليهم السلام مع بقية ودائع النبوة، وفي بعض النصوص أنّه محفوظ عند الإمام الحجّة المنتظر عجل الله فرجه الشريف[1].

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص462.



أسئلة الدرس

أجب عن الأسئلة التالية؟

1 - ما هو المعنى المقصود من تقسيم سور القرآن إلى مكي ومدني؟

....

....

2 - قيل بأن ما نزل فيه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ فهو مكي، وما نزل فيه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فهو مدني، كيف ترد على هذا القول؟

....

....

3 - قيل بأن ما نزل من القرآن فيه ذكر الأمم فإنما نزل بمكة وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة. هل يمكن الاعتماد على هذه الضابطة أم لا؟ ولماذا؟

....

....

4 -اذكر ثلاثاً من السمات التي اعتبروها علامات لتمييز المكي.

....

....

5 - اذكر ثلاثاً من السمات التي اعتبروها علامات لتمييز المدني.

....

....

أجب بـ ✔ أو ✖ :

1 - المرحلة المكية هي مرحلة الدعوة التي أسّست فيها الدولة الإسلامية. ☐

2 - كل ما نزل فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ علامة على أنه مدني. ☐

3 - كل ما نزل من القرآن فيه ذكر الأمم علامة على أنه مكي. ☐

4 - كل سورة فيها سجدة (الأعم من السجدات المستحبة والواجبة) فهي مكية. ☐

5 - كل سورة فيها إذنٌ بالجهاد فهي مدنية. ☐

6 - كل سورة فيها محاججة لأهل الكتاب فهي مدنية. ☐

7 - المصحف الذي كتبه الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ غير موجود عند أحد. ☐

8 - من صفات السور المدنية أنها تبدأ بالحروف المقطعة. ☐

9 - ما بدأ بـ «كلا» فهو مدني. ☐

10 - مصحف علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يختلف عن المصحف الذي بين أيدينا بألفاظه. ☐

اختر الإجابة الأصح

1 - الآية المكية هي التي نزلت على النبيّ ﷺ في مكّة المكرمة قبل الهجرة إلى المدينة. ☐

2 - الآية المكية هي التي نزلت على النبيّ ﷺ في مكّة المكرمة بعد الهجرة. ☐

3 - الآية المدنية هي التي نزلت على النبيّ ﷺ في المدينة فقط. ☐

4 - الآية المدنية هي التي نزلت على النبيّ ﷺ في المرحلة المدنية. ☐

5 - الآية المدنية هي التي لم تنزل على النبيّ ﷺ في مكّة. ☐



الدرس الخامس

جمع القرآن وتأليفه



أهداف الدرس

1 - أن يتعرَّف الطالب إلى معاني جمع القرآن الكريم.

2 - أن يتعرَّف إلى الفترة الزمنية التي جمع فيها القرآن الكريم.

3 - أن يميّز الرأي الصحيح في قضية جمع القرآن الكريم.



تمهيد

بعد أنْ تعرّفنا في الدُّروس السَّابقة إلى معنى الوحي، ومعنى نزول القرآن الكريم، وإذا ضممنا إلى ذلك بعض المعتقدات الثَّابتة بأنَّ النَّبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو خاتم الأنبياء، ورسالتــه القــرآن آخر الكتب السماويــة، ودينه خير الأديان وشريعتــه آخر الشَّرائع، فمــن مجموع ذلك وغيره كان مــن الضروري أن يعمل النبيّ الأكــرم على تثبيت هذا الدّيــن والمحافظة عليه بشتى الوسائل، ومــن ضمنها المحافظة على القرآن الكريم مــن الضيــاع ومن أن تتلاعــب به الأيادي المبغضــة والحاقدة، من هنــا نودّ في هذا الدرس الإطلالة على كيفية كتابة القرآن واهتمام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين به.

كتابة الوحي

لا ريب في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حرص على تدوين الوحي، فاشتهر العشرات من أصحابه بأنهم من كتّاب الوحي في حياة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد عدّ بعضهم ثلاثة وأربعين كاتباً ممّــن شاركوا في كتابة الوحي. وهذا يدل على شدة اهتمام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الكتابــة والتدوين، نظراً لأهمية القرآن الكريم في الدّيــن الإسلامي، ومكانته كآخر كتاب سماوي، وضرورة الدقة في الحفاظ عليه بكل ما فيه من خصوصيات، لا سيما أنه المصدر الأول من مصادر الشريعة الإسلامية الحقّة.

متى جمع القرآن؟

كان يفرض النزول التدريجي للقرآن كتابته في صحف متفرقة ومقطّعة، ولا شك أنها لم تكن في بداية الأمر مجموعة ومؤلّفة في كتاب له دفّتان، وبعد مضي الزمن أصبح القرآن كتاباً كاملاً محفوظاً بين دفّتين، فمن الحري أن نسأل متى جمعت الصحف وألّف بينها؟

يذهب الكثير من أتباع مدرسة الخلفاء إلى أن جَمْع القرآن الكريم كان بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

بينما يرى أكثر أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الكريم كان قد جمع في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبرعايته وتوجيهه، وقبل الخوض في أدلة الفريقين ينبغي الإشارة إلى أن الجمع قد يستعمل بأربعة معانٍ مختلفة، وهذا من شأنه أن يوقع الباحث في الاشتباه مما يستوجب الدقة في هذه الأبحاث.

معنى جمع القرآن الكريم

1 - الجمع في الصدر وحفظه.

2 - **التدوين**: أي جمع السور مدوّنة في مكان واحد، فجمّع القرآن معناه جمع سوره وآياته كلها مدونة في صحفٍ، لكن من دون أن تكون مؤلفة في كتاب واحد مجلّدة بغلاف أو دفتين كما هو متعارف اليوم.

3 - **جمع النسخ المدوّنة**: من أيدي الناس كمقدمة لتوحيد القراءة فيها، وهو ما أمر به عثمان بن عفان في زمان خلافته.

4 - **ترتيب الصحف وجمعها في كتاب واحد** (وهذا المعنى هو الصحيح والمختار المقصود من البحث كما سيأتي).

روايات جمع القرآن

وهناك مجموعة من النصوص التي نقلت في كتب أهل السنّة تنص على أن القرآن قد جمع على عهد رسول الله ﷺ وقرىء عليه، وفيما يلي نماذج منها:

1 - **أربعة جمعوا القرآن**: في البخاري أن أربعة جمعوا القرآن الكريم على عهد النبيّ ﷺ، فعن قتادة قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد[1].

2 - **ستّة جمعوا القرآن**: عن الشعبي قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ستة: أبيّ، وزيد، وأبو الدَّرداء وسعد بن عبيد، وأبو زيد، ومجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة، قال: ولم يجمعه أحد من الخلفاء أصحاب محمد غير عثمان[2].

3 - **ثلاثة جمعوا القرآن**: وعن محمد بن إسحاق في الفهرست أن الجُمَّاع للقرآن الكريم على عهد النبيّ ﷺ هم: علي بن أبي طالب عليه السلام وسعد بن عبيد بن معاوية، وزيد بن ثابت[3].

4 - **جماعة جمعوا القرآن**: وروى الحاكم عن زيد بن ثابت قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع[4].

وهناك روايات أخرى تنص على أسماء أخرى ممّن جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وقد أحصى بعض المحقّقين أربعة وعشرين اسماً من مجموع الروايات، وأضاف عليهم غيرهم ممّن لم يذكر بشكل قاطع.

(1) الزركشي، البرهان، ج1، ص304، صحيح البخاري، الباب 20، سورة 9، من كتاب التفسير.
(2) الزركشي، البرهان، ج1، ص305.
(3) الزنجاني، تاريخ القرآن، 46.
(4) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج2، ص611.

المقصود من رويات الجمع

أولاً: هل المقصود من روايات الجمع في الصدر (المعنى الأول)؟

لقد حاول مصنِّفو أهل السنّة التوفيق بين هذه الروايات وبين ما ورد عندهم من أن أوّل من جمع القرآن الكريم في مصحف هو الخليفة الأول، ففسّروا الجمع في هذه الروايات بأنّه الجمع في الصدور وحفظ القرآن كاملاً (المعنى الأول).

وهذا الأمر لم يرتضه محقّقو الشيعة الإماميّة لعدّة أسباب، منها ما يرجع إلى ظاهر روايات الحفظ في عهد النبيّ ﷺ، وهي:

1- إنّ الجمع بمعنى الحفظ في الصدور كاملاً خلاف الظاهر، لذلك لا يذهب إليه إلاّ بقرينة، وهي غير موجودة في هذه الروايات.

2- لا يعقل أن يكون عدد من حفظ تمام القرآن محصوراً في أربعة أو ستة أو عشرة أشخاص؛ وذلك لأن تعليم وتحفيظ القرآن كان موضع اهتمام الرسول ﷺ نفسه، وكما أن القرّاء في زمانه ﷺ كانوا يعدّون بالمئات بل بالآلاف، فلا بد أن يكون الجمع هنا بمعنى امتلاكه مكتوباً مدوّناً.

3- الروايات التي رويت من طرق الفريقين التي تؤكّد على وجود المصحف في عصر الرسول ﷺ. بالإضافة إلى ما قد يستفاد من وصاياه بالمصحف وأحكامه وما ورد في استحباب القراءة في المصحف نظراً وحفظاً، من الاستدلال على وجود ذلك المصحف وكونه متعارفاً عند الصحابة[1].

ومنها ما يرجع إلى ظاهر روايات الجمع في زمن أبي بكر، وهي:

1- إن روايات جمع القرآن بعد النبيّ ﷺ مضطربة ومتهافتة، بحيث إنه لا يمكن الاعتماد عليها ولا الركون إلى شيء ثابت فيها.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص305.

فمن حيث الزمان ظاهر بعضها أن الجمع لم يتم إلا في زمان عثمان، بينما تحكي روايات أخرى أن الجمع كان في زمن عمر بن الخطاب، وتنص طائفة أخرى على أنه في زمان أبي بكر.

ومن جهة المتصدّي للجمع، ففي بعضها أنه أبو بكر، وفي بعضها أنه عمر وزيد بن ثابت، بينما في بعضها أنه زيد فحسب. وفي بعض الروايات أن أبا بكر قد فوّض إليه ذلك، حتى أنّ عمر جاءه بآية الرجم فلم تقبل منه.

وقد اضطربت الروايات من جهة كون الجمع كان تاماً في زمان أبي بكر، حتى أنه لم يبق منه شيء إلا دوّن فيه، بينما صريح رواية بقاء شيء منه لم يثبت في المصحف إلى زمان عثمان.

2- إن روايات جمع القرآن بعد الرسول ﷺ لا يمكن القبول بها؛ لأنها تفرض أنّ القرآن الكريم قد جمع بالشاهد والشاهدين، وهي تفترض إمكانية ضياع أجزاء كثيرة منه، حيث زعمت أنهم كانوا يطلبون الآية فلا يجدونها إلاّ عند شخص من الصحابة استشهد أو توفي، وأن بعض الآيات لم يتوفّر لها شاهدان، وهذا كان له عظيم الأثر في زرع الشبهات في نفوس البسطاء الذين صدّقوا هذه الروايات، وغفلوا عما تقتضيه الضرورة والشواهد القطعية والدلائل البينة على تواتر القرآن الكريم، واهتمام الرسول ﷺ بنشره وتعليمه للمسلمين وتدوينه بشكل واسع، وتوفير كل مقتضيات حفظه وبقائه وتواتره في كل العصور.

3- والصحيح أنّ الرسول ﷺ كان يشرف بنفسه على تدوين القرآن الكريم، وتأليف سوره، وجمع الصحف المدوّنة بشكل مستمر[1]. ولم يرحل عن دار الفناء إلا وهو مطمئن النفس مرتاح البال تجاه هذه الأمانة العظمى والمعجزة الكبرى، وأن

(1) راجع: الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص 90.
- علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ص 101 – 107.
- الشيخ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج 1، ص 43.

المصحـف المقـروء على رسـول اللّه ﷺ كان متوفّـراً عند عدد مـن الصحابة الكـرام، بالإضافـة إلـى القطع والأجـزاء المتفرّقـة عند المئات بـل الآلاف من المسلمين، الذين لم تتوفّر لهم فرصة الحصول على نسخة كاملة، فكتب ما تيسّر له وما سمعه من الرسول ﷺ مباشرة أو أقرأه إياه بعض القراء.

ثانياً: هل المقصود من روايات الجمع التدوين (المعنى الثاني)؟

حـاول بعض المحقّقين التوفيـق بين روايات الجمع، فزعـم أن روايات الجمع على عهـد رسول اللّه ﷺ، إضافة إلى الأدلـة الأخرى التي تقتضي ذلك تُحمل على المعنى الثاني من الجمع وهو التدوين للجميع من أحد الوسائل المعروفة، وجمعها في صرّة أو ربطها بخيط أو وضعها في إضبارة مثلاً، وأما الجمع في كتاب واحد فهو لم يتم إلا على عدّة صور: جمع الإمام علي عليه السلام وجمع زيد بن ثابت، وجمع أبي بن كعب، وجمع عبد اللّه بن سعود وهذا المعنى لا يغيّر في الأمر شيئاً، إذ أن التأليف بين الصحف وترتيبها بشكل كتاب محفوظ فيما بعد في إضبارة أو مربوط في خيط هو جمع حقيقي.

ثالثاً: هل المقصود بالجمع لمّ النسخ المدوّنة (المعنى الثالث)؟

روى السيوطي عن ابن اشتة قال: اختلفوا في القراءة على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمـان والمعلّمون فبلغ ذلك عثمـان بن عفان فقال: عندي تكذبون به وتلحنون فيه، فمن نأى عني كان أشدّ تكذيباً وأكثر لحناً، يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً، فاجتمعوا فكتبوا[1].

ولا إشـكال في أن عثمان بن عفان أمر بجمع القرآن بالمعنى الثالث المتقدّم فقد قـام بكتابة نسخة مـن المصحف سماها بالإمام، فصـارت مرجعاً لمن يريد ضبط نسخته أو استنساخ نسخة منه.

---

(1) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج1، ص209.

وقـد أقرّه أمير المؤمنين عليه السلام على خطوة توحيـد القراءة وقطع الخلاف فيها، خاصة أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان قد نهى عن الاختلاف في القرآن، والاختلاف في قراءته أوضح مصاديق الاختلاف المنهي عنه[1].

نعم يؤاخذ عثمان من جهة إحراقه المصاحف الأخرى وأمره بإحراق ما جمع في الأمصار.

ومهمـا يكن فإنّـه بعد توحيـد المصحف أمر عثمـان باستنساخ عـدّة مصاحف وأرسلها إلى الأمصار لتكون هناك مرجعاً يؤخذ عنه، لكن ليس هذا المعنى هو محل النزاع والخلاف.

والنتيجـة: استظهـار المعنى الرابع للجمع، فإن ظاهـر الجمع هو الحصول على الجميـع مدوّنـاً، لأنه تقريب ما كان مفرّقاً، فالجمع بالمعنـى الرابع ترتيب الصحف وجمعها في كتاب واحد هو المتعيّن وهو الظاهر من القرائن والشواهد والنصوص.

وهذه النتيجة التي توصّلنا إليها وهي المقبولة عند كبار علمائنا ومحقّقينا؛ كالحر العاملـي وابـن طاووس والسيد شـرف الدّين العاملـي، والسيد أبـو القاسم الخوئي وغيرهم[2].

وأمـا عدد تلـك المصاحف فقيل أربعـة، والمشهور أنها خمسة، بـل ذهب بعضٌ إلى أنها سبعة مصاحف، أرسلت إلى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة، وبقي أحدها في المدينة[3]. والجدير بالذكر أن لا وجود لهذه المصاحف في عصرنا الحاضر.

(1) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج 1، ص 166.
(2) راجع: السيد جعفر مرتضى حقائق هامة حول القرآن الكريم، ص82-88.
(3) السجستاني، كتاب المصاحف، ص43.
الصغير، تاريخ القرآن، ص93.



أسئلة الدرس

أجب عن الأسئلة التالية؟

1 - هل تمّ جمع القرآن في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم بعد وفاته، أعطِ شاهداً على ذلك؟

....

....

2 -لماذا لا يمكن الالتزام بأن معنى جمع القرآن هو حفظه في الصدور؟

....

....

3 - ما هو المعنى المتعيّن للجمع بحسب الظاهر من القرائن والشواهد والنصوص؟

....

....

4 - بأي معنى من معاني الجمع قام عثمان بجمع القرآن الكريم؟

....

....

أجب بـ ✔ أو ✖:

1 - جُمع القرآن في عهد النبيّ ﷺ وهذا رأي السنة والشيعة. ☐

2 - كان النزول التدريجي للقرآن يفرض كتابته في صحف متفرقة ومقطّعة. ☐

3 - إن الجمع بمعنى الحفظ في الصدور كاملاً هو غير موافق للظاهر من الحفظ. ☐

4 - الروايات التي رويت من طرق الفريقين تؤكّد على عدم وجود المصحف في عصر الرسول ﷺ. ☐

5 - الصحيح أن الرسول ﷺ كان يشرف بنفسه على تدوين القرآن الكريم، وتأليف سوره. ☐

6 - الجمع في كتاب واحد لم يتم إلا في عهد أبي بكر. ☐

7 - أقـرّ أمير المؤمنين علي عليه السلام خطـوة عثمان بن عفان بتوحيد القراءة وقطع الخلاف فيها. ☐

8 - أمر عثمان باستنساخ عدّة مصاحف وأرسلها إلى الأمصار. ☐

9 - الجمع هو بمعنى ترتيب الصحف وجمعها في كتاب واحد هو المتعيّن من القرائن والشواهد والنصوص. ☐

10 - إن جمع القرآن في نسخة واحدة حفظه من الضياع والتلف. ☐

أكمل العبارة بشكل تعطي الرأي الصحيح في المسألة:

القرآن - حفّاظ - الكتاب - رسول الله ﷺ - الصحابة

لقد تم جمع القرآن في عهد ....، واهتم به المسلمون الأوائل أقصى درجات الاهتمام، في مجال تعلم أحكامه وحفظه، لدرجة أصبحت فيها مكانة الفرد الاجتماعية تقاس بقدر حفظه من سور القرآن الكريم، حتى أصبح عدد .... القرآن من الكثرة بحيث أنه في إحدى المعارك قتل فيها أربعة آلاف منهم.

وكذلك الحال في عهد رسول الله ﷺ حينما استشهد سبعون رجلاً من .... الذين حفظوا القرآن في معركة بئر معونة، وهي إحدى المناطق المجاورة للمدينة.

من هذين المثلين (وأمثالهما كثير) يتضح لنا أنّ حفظة وقراء ومعلّمي القرآن الكريم من الكثرة بحيث يستشهد منهم في معركة واحدة ذلك العدد الضخم. وهذا طبيعي جداً إذا ما نظرنا إلى طريقة تعامل المسلمين مع ....، باعتباره القانون الحاكم النافذ، و................................ المقدّس الذي لا يوجد سواه.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج8، ص24.



الدرس السادس

رسم القرآن، والقراءات



أهداف الدرس

1 - أن يتعرَّف الطالب إلى كيفية دخول علامات التنقيط والتشكيل والإعجام على المصحف الشريف.

2 - أن يتعرَّف إلى كيفية نشوء القراءات القرآنية.

3 - أن يميّز أسانيد القراءات القرآنية المختلفة.



تمهيد

لقد اهتم النبيّ الأكرم ﷺ بالقرآن الكريم، وقد اعتنى بأن يكون بين يديه كتاب للوحي، وكان يشدّد على المحافظة على القرآن الكريم ويوصي بالاهتمام به، كي لا يصيبه ما جرى على الكتب السماوية السابقة، وقد عمل المسلمون بوصية نبيهم واهتمّوا بكتابة القرآن وحفظه ورسمه وتناقله وعدم دخول أي كلام غير إلهي فيه، ونحن في هذا الدرس نتعرّض للرسم القرآني وكيف دخل الإعراب والإعجام والتشكيل إلى القرآن، وكيفية نشوء القراءات لا سيما القراءات المشهورة.

التَّنقيط والشَّكل

كانت كتابة المصاحف حتَّى العثمانية منها مجـرَّدة عن علامات الشَّكل والنّقط والإعجام، حيث إنّ الخط الكوفي كان إلى ذلك الحين مجرّداً عن الزَّوائد، بل لم يدوَّن في تلك المصاحف أي نوع من أنواع الزِّيادة التّوضيحية مثل أسماء السّور وأرقام الآيات.

1 - وضع الحركات:

وأوّل من تصدّى لوضع الحركات الإعرابية هو أبو الأسود الدؤلي (المتوفي سنة 69 هـ) وذلك بعد أن سمع من يلحن بالقراءة، فاستعمل مداداً يخالف لونه اللون

الـذي كتب بـه القرآن، وقال للكاتـب: «**إذا رأيتني قـد فتحت فمي بالحـرف فانقط نقطـة فوقـه علـى أعـلاه، وإن ضممـتُ فمي فانقط نقطـة بين يدي الحـرف، وإن كسرت فاجعل النقطة نقطتين، وفي نسخة: فاجعل النقطة من تحت الحرف**»[1]، وقيـل إنه جعـل للفتح نقطة فوق الحـرف، وللضم نقطـة إلى جانبـه، وللكسر نقطة أسفله، وللتنوين نقطتين[2].

والجديـر بالذكر هنـا أن أبا الأسود الدؤلـي كان قد أخذ أصـول النحو عن أمير المؤمنيـن عليه السلام ، الـذي وضع له قواعده ولقّنـه أصوله وأمره بتفصيـل ما أجمله له ليرجع إليه من كان في لسانه عجمة للتخلُّص من اللحن في الكلام.

2 - وضع النقاط والحركات:

وقـد أكمل عمـل أبي الأسود مـن بعده اثنان مـن تلامذته، هما: يحيـى بن يعمر العدوانـي (توفي عام 90هـ تقريباً) ونصر بن عاصم الليثي (توفي عام 89هـ) حيث وضعـا النقاط على الحـروف أزواجاً وأفراداً، في عملية أطلـق عليها اسم الإعجام، وذلك للتمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم، فصار لكل حرف صورة تميّزه عن صورة غيره من الحروف، كما هو المتعارف في كتابتنا اليوم[3].

ثـم تلا ذلك تطوير علامات الإعراب والشـكل فوضع علامة للسكون وغيرها من العلامات.

وقـد اعتمـدوا في البداية للتمييز بيـن نقاط الإعجام ونقـاط الحركات اختلاف اللّـون، فاستعملوا ثلاثة ألوان، لوناً للكتابة، ولوناً للنقط التي تميز الحروف المعجمة مـن المهملـة، ولوناً للنقط التي ترمز إلى الحركات، وربمـا وصل الأمر إلى استعمال

(1) ابن النديم، الفهرست، 45.
(2) الصغير، تاريخ القرآن، 131.
(3) م.ن، 133 ـ 134.

أربعة ألوان كما نقل عن أهل الأندلس[1].

لكن الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-170هـ) ابتدع أشكالَ الحركات، فميّزها عـن نقاط الحــروف، فجعل لـكلِّ حركة حرفـاً صغيراً بـدل النقط، فوضــع للضمة واواً صغيــرة، وللكســرة ياءً مردفة تحــت الحرف، وللفتحة ألفــاً مائلة فوق الحرف. وأضاف إلى ذلك علامة الهمز والتشديد والرّوم والإشمام[2]. واستمرت حركة وضع الاصطلاحات والعلامات التوضيحية، فوضعــت علامات نهاية الآيات وقسّم القرآن إلــى الأخماسـ والأعشار، ووضعت إشــارات إلى أحكام السجــود الواجب والمندوب وهكذا.

أما على صعيد الرسم القرآني أي الإملاء فقد بقي الرسم العثماني هو الأساس.

والحقيقــة أن عمليــة التنقيــط ووضع الحــركات الإعرابية قدّمــت خدمة عظيمة ووضعــت حــدّاً للاختلاف في القــراءة التي كانت بلغــت مستوىً خطــراً، كما سيأتي الإشارة إليه.

القراءات القرآنيّة

لا يــكاد يخلو كتــاب تفسير من التعرّض لذكر القــراءات المتعدّدة للكثير من مفــردات القــرآن، وهذه القــراءات تنسب إلى قــرّاءٍ معيّنين، وقــد أُحصي منها عشــرة مشهورة، أو سبعة هي الأشهر، وإلاّ فإنّ عــدد القراءات الشاذّة تزيد عن ذلك بكثير.

(1) الزنجاني، تاريخ القرآن، 98.

(2) الصغير، تاريخ القرآن، ص134-135. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص148.

1 - منشأ القراءات:

هناك اتجاهان في شأن نشوء القراءات القرآنية ومصدرها:

الأول: اجتهاد القرّاء:

إنّ المصحف حتّى المصحف العثماني قد كتب مجرّداً عن التنقيط والحركات الإعرابيّة، وهذا أدّى إلى الاختلاف في قراءته، نتيجة عدم حفظ المعلّمين القراءة الصحيحة بدقة، واعتماد الرسم الذي يحتمل عدّة وجوه لخلوّه من الإعجام والإعراب.

فالقراءات على هذا الوجه تكون اجتهادية محضة، أو مرويّة عن القرّاء المشهورين منقولة بأخبار الآحاد، مع الاعتراف بأنّ القرآن نزل على قراءة واحدة،، دون أن يُعلم الزمن الذي حصل فيه الاختلاف وكيف بدأ.

واستدل لهذا الإتجاه بعدة أدلة أهمها:

1. الروايات: ويدل على الاتجاه الأول: ما ورد في أخبارنا عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، في أنّ القرآن نزل على حرف واحد.

منها: ما روي عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون إن القرآن نزل على سبعة أحرف فقال عليه السلام: «**كذبوا أعداء الله، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد**»[1].

منها: ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إن القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة**»[2].

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص630.

(2) م.ن.

ومنهـا: ما روي عن سليمان بـن صرد عن الرسول ﷺ: «**أتانـي جبرئيل فقال: اقرأ القرآن على حرف واحد**»[1].

ويدلّ عليه أيضاً: أنّ الخليفة الثالث عثمان بن عفان جمع الناس على قراءة واحدة كما يقولون، فهو اعتراف ضمني بأنّ القرآن واحد نزل بقراءة واحدة، وإلا لما كان له أن يمنع القراءات الأخرى ويحمل الناس على قراءة واحدة، إلّا أن يكون اجتهاداً منه.

وقد تبنّى هذا الاتجاه أكثر من واحد من مصنّفي أهل السنّة، وصرحّوا بأنّ سبب الاختلاف في القراءات هو خلوّ المصاحف الأولى من النقط والشكل. فقد نقل ذلك عن ابن أبي هاشم[2]، وابن جرير الطبري[3] وغيرهما.

2. تواتر القراءات:

إنّ القراءات مروية بالأسانيد عن رسول الله ﷺ، بغضّ النظر عن كتابة المصحف الشريف. وقد ادّعى بعض تواتر القراءات السبعة المشهورة[4].

فالقـراءات علـى هذا الوجـه يُدّعى أنّهـا كلّها قـرآن، وأنّ القرآن نـزل بقراءات متعدّدة ومتواترة.

الاتجـاه الثانـي: ويعتمـد على تفسير الأحـرف السبعة بالقـراءات واستدل لهذا الاتجاه بعدة أدلة منها:

- مـا رووه عـن النبـيّ[5] ﷺ مـن أن القرآن الكريـم نزل على سبعـة أحرف[6]، فزعموا أن الأحرف السبعة هي القراءات السبعة المشهورة.

---

(1) المتقي الهندي، كنز العمال، ج2، ص34.
(2) القسطلاني، فتح الباري، ج9، ص28.
(3) الصغير، تاريخ القرآن، ص107-109.
(4) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص258.
(5) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص257-263. الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن، ص415.
(6) راجع مصادر الحديث في: السيد جعفر مرتضى، حقائق هامة حول القرآن الكريم، ص177-178.

حتّى أن بعضهم يدّعي أن عثمان بن عفان فرّق هذه القراءات على المصاحف التي دوّنها، لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله تعالى، وكما سمعت من رسول الله ﷺ، وهذا هو سبب اختلاف رسوم مصاحف أهل الأمصار[1].

والاستدلال برواية نزول القرآن على سبعة أحرف غير تام:

أ: فإن هذه الرواية معارضة بما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم أعلم بما نزل فيه من أن القرآن واحد نزل من عند الواحد، على حرف واحد وأن الاختلاف يأتي من قبل الرواة كما تقدّم.

ب: لا دليل على أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبعة، فإن بعض الروايات فسّرت الأحرف بأنها أساليب القرآن من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والجدل والأمثال والقصص[2]، ويظهر من روايات أخرى أن الأحرف إشارة إلى معاني القرآن وتأويلاته، فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «**تفسير القرآن على سبعة أوجه، منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعد، تعرفه الأئمة**»[3].

ج: إن روايات نزول القرآن على الأحرف السبعة متضاربة، فبعضها يقول أنها سبعة، وبعضها يقول أنها خمسة، وبعضها يقول أنها أربعة وربما ثلاثة، فلا يعلم الصحيح منها.

والنتيجة أن مقولة تفسير الأحرف السبعة بالقراءات غير مقبولة ولا يصح الاعتماد عليها.

(1) السيد جعفر مرتضى، حقائق هامة حول القرآن الكريم، ص220.
(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج4 ص94.
(3) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج27، ص197.

2 - اختلاف مصاحف الأمصار

تُصرّح بعض النصوص أن عثمان بن عفان لما أتي بالمصحف بعد أن فرغوا منه، نظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم أرى فيه شيئاً من لحن ستقيّمه العرب بألسنتها[1].

وهذا يدل على أن الدقّة التي توخّاها كَتَبةُ القرآن آنذاك لم تكن مانعة من وقوع بعض اللّحن غير المهم في طريقة الرسم القرآني، ولذا اعتمدوا على أنّ العرب ستقوّمها بألسنتهم، ولو كان ذلك على مستوى الاختلاف الجذري لما كان يسكت عليه.

بالإضافة إلى أن تلك المصاحف كانت خالية عن النقط والحركات الإعرابية – كما تقدّم– ممّا جعل إمكانية اختلاف قراءتها على مستوى عالٍ، ونحن لا ندري مقدار هذا الاختلاف المزعوم في المصاحف العثمانية، وما نقل في المقام لا يخلو أن يكون مجرّد دعاوى غير مدعّمة بأدلة قاطعة، وهذا مما لا يجوز الوقوف عنده أمام النص المتواتر والقراءة المتواترة.

3 - سند القراءات

أما دعوى كون القراءات مرويّة عن الرسول ﷺ، فهنا لا بد من التعرّض لأمرين:

الأوّل: أنّ القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد، وإنما بالتواتر الموجب للاعتقاد اليقيني؛ بأنه هو كلام الله النازل على رسوله ﷺ، وعليه فأي قراءة لا بد من إسنادها بأسانيد متواترة، ولا يكفي مجرّد الرواية بسند واحد أو سندين بما لا يخرجها عن الآحاد. وهذا أمر مسلّم لا يناقش فيه أحد.

(1) السجستاني، كتاب المصاحف، ص41.

الثاني: إن القراءات المنقولة في كتب التفسير وغيرها كلها غير متواترة، وقد كفانا البحث السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره في كتاب «**البيان**»[1]، وقد أورد ترجمة القرّاء السبعة وأثبت أن قراءتهم غير متواترة بل بعضها لم تثبت بسند صحيح أصلاً.

والقرّاء السبعة هم:

1- عبد الله بن عامر الدمشقي، ولد سنة 8هـ وتوفي سنة 118هـ، قيل قرأ على المغيرة.

2- ابن كثير المكي ولد سنة 45هـ وتوفي سنة 120هـ، قيل إنه قرأ على ابن السائب.

3 عاصم بن بهدلة الكوفي توفي سنة 127 أو 128هـ، وقيل إنه قرأ على زر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي عمرو الشيباني، ومن أشهر من روى عنه حفص بن عمر.

4- أبو عمرو البصري ولد سنة 68هـ وتوفي 154هـ، أكثر القرّاء شيوخاً.

5- حمزة الكوفي ولد سنة 80هـ وتوفي سنة 156هـ قرأ على سليمان الأعمش وحمران بن أعين وغيرهما.

6- نافع المدني مات سنة 169هـ، أخذ عن جماعة من تابعي أهل المدينة.

7- الكسائي الكوفي مات سنة 189هـ، أخذ القراءة عن حمزة الزيات.

ومن تصفّح حال القرّاء وتراجمهم يظهر أن قراءاتهم تلقّوها عن مشايخهم بطرق الآحاد، وكثير من القرّاء أنفسهم لم يكن ثقة أو أن شيوخه لم يكونوا ثقات. والمهم هو عدم إمكان الركون إلى شيء منها. ولا يكفي أن يدّعى تواتر القراءة إلى القرّاء أنفسهم فإن المطلوب التواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو غيرها.

(1) راجع: السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص126-147.

ثـم إن احتجاج كل واحد من القــرّاء على صحة قراءته وإعراضه عن قراءة غيره دليل على أن القراءات لم تكن متواترة عن الرسول ﷺ، ولم تكن متعدّدة في الأصل، وإلا لم يكن هناك حاجة لكل ذلك، فإن التعدّد يكون عندئذ هو الطبيعي.

ومهما يكن فإن عدم تواتر القراءات لا يضر بتواتر القرآن لعدم الملازمة بينهما، كمـا ان تواتـر القرآن لا يستلزم تواتـر القراءات، لأن الاختلاف فـي كيفية الكلمة لا ينافـي الاتفاق على أصلها. ومع اتفاق آراء جمهـور الفصحاء والبلغاء وأرباب النحو علـى قراءة عاصم الكوفي، وحيث أن أدقّ رواتـه هو حفص دون سائر تلامذته، فقد تـداول المسلمون هذه القراءة واتفقـوا عليها، ومع ملاحظة أخبار أهل البيت عليهم السلام التي سيأتي ذكرها لا يبقى إشكال في الأخذ بها حينئذ لخروجها عن الشاذ والنادر.

نمط اختلاف القراءات

مـن يتتبّع القــراءات المختلفة يصل إلى حدّ الاطمئنـان بأنّها نشأت من اختلاف الرســم أو اختلاف اللهجـات أو عدم وجود النقاط الإعجاميــة للحروف وعدم وضع الحركات الإعرابية، ولتقريب ذلك إلى الذهن أكثر نأتي بأمثلة:

1- قولـه تعالـى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ﴾[1] قُـرئ بكسـر الـكاف وبضمّهـا وقـال الطبرسي: هما لغتان. وهذا يدل على أن منشأ الاختلاف هنا هو اختلاف اللهجة العربية من قبيلة لأخرى، وكلٌّ قرأ بلغته.

2- ومثله قوله تعالى: ﴿يُضَآرَّ﴾[2] قُرىء بفتح الراء وبضمها.

3- قولـه تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[3] قُرىء بالبناء للمفعول في الأول وللفاعل

(1) سورة الأعراف، الآية:138.

(2) سورة البقرة، الآية:282.

(3) سورة التوبة، الآية: 111.

في الثاني وبالعكس. وهذا يبدو أنه من عدم الحفظ، واحتمال الرسم للقراءتين، واتحاد المعنى.

4- ﴿مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾[1] قرأ ابن مسعود بفتح الميمين.

5- ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾[2] قُرىء يطّهّرن بالتشديد، وهذا ناشيء من عدم الحركات الإعرابية.

6- ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾[3] قُرىء المجيد بالرفع والجر وهذا من الاختلاف بالتفسير وعدم حفظ القراءة.

7- ﴿بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾[4] قُرىء باعد على وزن الفعل الماضي وفعل الأمر.

8- ﴿يَعۡرِشُونَ﴾[5] قُرىء بضم الراء وبكسرها.

9- ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾[6] قُرئت لكن بالتشديد والتخفيف ويتبع ذلك رفع الشياطين ونصبها.

10- ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[7] قُرىء فتثبتوا، وهذا نوع من الاختلاف ناشئ من عدم وجود نقط الإعجام.

11- يعلمون وتعلمون في أكثر من موضع اختلف في قراءتها بالياء والتاء على الخطاب والغيبة.

12- ﴿لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾[8] قُرىء لم يروها في الموضعين من التوبة.

13- ﴿نُنشِزُهَا﴾[9] قُرىء ننشرها. وهذا كله لعدم التنقيط.

(1) سورة هود، الآية:41.
(2) سورة البقرة، الآية:222.
(3) سورة البروج، الآية:15.
(4) سورة سبأ، الآية:19.
(5) سورة الأعراف، الآية:137، وسورة النحل، الآية: 68.
(6) سورة البقرة، الآية:102.
(7) سورة الحجرات، الآية: 6.
(8) سورة التوبة، الآية: 26، الآية: 40.
(9) سورة البقرة، الآية: 259.

14- ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾[1] قُـرىء ويقضـي الحق وهذا مثال لتشابـه الرسم والخطأ في التشخيص.

هذه نماذج يسيرة وأغلب الاختلافات من هذا القبيل.

وهنـاك اختلافات فـي زيادة كلمة ونقصانها، واستبدال حـرف جر بآخر وأمثال ذلك مما ينشأ من سهو الحافظ.

وهناك اختلافات ناشئة من الخلط بين التفسير والتأويل ومتن القرآن فيتوهّم أن ما ورد على الألسنة للتفسير أنه من أصل القرآن.

ونحـن لا ننفـي بعض المحاولات العمديـة للتحريف، خاصـة إذا عرفنا أن بعض أهـل الكتـاب كان يطلب منه نسـخ المصحف وهـو لا يؤتمن من التلاعـب والزيادة والتحريـف. ومن هذا القبيل مـا ورد أن عبد الرحمن بن أبـي ليلى كتب له نصراني من أهل الحيرة مصحفاً بسبعين درهماً[2]، ومنذ سنوات قليلة حاول يهود العصر في إسرائيـل تحريف القرآن في الآيات التي ترتبط بهـم وباءت محاولتهم بالفشل، كما فشلت كل المحاولات السابقة وبقي القرآن الكريم محفوظاً بعيداً عن كل ريب.

وفـي الختـام لا بد من الإشارة إلـى ما ورد عن أئمة أهـل البيت عليهم السلام من الأمر بالقراءة «**كما يقرأ الناس**» أو «**كما علمتم**» والنهي عن متابعة القراءات الشاذة.

روي أنـه قـرأ رجل علـى الإمام الصـادق عليه السلام حروفاً من القـرآن ليس على ما يقرؤهـا الناس فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام «**كف عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس...**»[3].

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «**اقرؤوا كما علّمتم**»[4].

(1) سورة الأنعام، الآية: 57.
(2) عبد الرزاق، المصنف، ج8، ص114.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص633.
(4) المصدر نفسه، ج2، ص631.



أجب عن الأسئلة التالية:

1- ما هي الأسباب التي ذُكرت لنشوء القراءات المتعدّدة للقرآن؟

....

....

2- ما هو رأي البيت عليهم السلام في موضوع التعدُّد في القراءات؟

....

....

3- ما هو المعنى الصحيح للأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها؟

....

....

4- قيل إن القراءات المتعدّدة للقران مروية عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، كيف تردّ على ذلك؟

....

....

5- ما هي القراءة التي كان عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام والتي هي متداولة اليوم؟

....

....

■■■■■■

أجب بـ ✔ أو ✘:

1 - أوّل مـن تصـدّى لوضع الحـركات الإعرابية هو الإمـام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ. ☐

2 - أوّل من تصدّى لوضع علامات الوقف هو الخليل بن أحمد الفراهيدي. ☐

3 - الإعجام هو وضع النقاط على الحروف، لا الحركات. ☐

4 - التشكيل هو وضع الحركات على الحروف لا النقاط. ☐

5 - تواتـر القراءات: يعني أنّها القراءات المرويـة بالأسانيد عن رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بغضّ النظر عن كتابة المصحف الشريف. ☐

6 - إن مقولـة تفسيـر الأحـرف السبعـة بالقـراءات غير مقبولـة ولا يصحّ الاعتماد عليها. ☐

7 - القرآن لا يثبت بالتواتر، وإنما بأخبار الآحاد الموجبة للاعتقاد اليقيني.

8 - عدم تواتر القراءات لا يضرّ بتواتر القرآن. ☐

9 - إن القراءات المنقولة في كتب التفسير وغيرها كلها غير متواترة. ☐

10 - إن احتجاج كل واحد من القرّاء على صحة قراءته وإعراضه عن قراءة غيره دليل على أن القراءات كانت متواترة عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ☐

أكمل العبارة بشكل تعطي الرأي الصحيح في المسألة:

الحروف - المتعدّد - عنصر الاجتهاد - القراءات - ضبط الكلمات القرآنية

نلاحظ أن بعض الألفاظ القرآنية تُقرأ بأساليب مختلفة، تؤدّي في بعض الأحيان إلى الاختلاف في معنى اللفظ ومؤدّاه، هذا الشيء الذي أدّى في نهاية تطوّره إلى ولادة علم ....

وقد حاول بعضهم أن يُفسّر ظاهرة تعدُّد القراءات في البحوث التفسيرية العامة على أساس أن القرآن الكريم جاء به الوحي إلى الرسول الأعظم ﷺ بهذا الشكل................................. وأنه نزل على عدّة حروف، وأن القراءات المتعدّدة هي هذه .... المتعدّدة.

وإذا كنا نقبل هذه المعالجة في بعض الحالات لا يمكن أن نقبلها بشكل مطلق وفي جميع الحالات، خصوصاً في الحالات التي يكون لاختلاف القراءة تأثير على المعنى، ويكون المعنى بدوره مرتبطاً بحكم شرعي كما في «**يطهرن**» بالتخفيف و «**يطهّرن**» بالتشديد. وحينئذ نجد أنفسنا أمام تفسيرين لهذه الظاهرة بشكل عام، أو على الأقل في بعض الحالات:

- أحدهما: هو إهمال .... بشكل معيّن في عهد الرسول من قِبَل بعض الصحابة أنفسهم، أو نسيان الطريقة الصحيحة لنطق اللفظ نتيجة عدم التدوين.
- والآخر: تدخل .... والاستحسان في القراءة بعد فقدان حلقة الوصل التي كانت تربط بين بعض الصحابة والرسول».

الشهيد السيد محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص290.



الدرس السابع

سلامة القرآن من التحريف



أهداف الدرس

1 - أن يتعرَّف الطالب إلى محلّ النزاع في تحريف القرآن.

2 - أن يستدلّ على عدم تحريف القرآن الكريم.

3 - أن يُميّز بين التحريف المعنوي والتحريف اللفظي.



تمهيد

مـن الأبحاث المهمّة فـي علوم القرآن هو بحـث دعوى تحريف القـرآن الكريم، وهـو بحث لـه ارتباط بالأديان السماوية الأخرى التي حُرّفـت كتبها ولم يبق منها إلا اسمهـا وبعض تعاليمها، ولذلك لا يمكن الاعتماد عليها، وسرت هذه المشكلة ليُدّعى أن القرآن قد حُرّف أيضاً كسائر الكتب السابقة، وهذه الدعوى باطلة وغير صحيحة، ويمكـن البرهـان على ذلك من خلال القرآن الكريم ومن خـلال الروايات الشريفة. ولتوضيح هذا البحث لا بد فيه من التفرقة بين التحريف المعنوي والتحريف اللفظي، وتوضيح تحريف النقيصة وتحريف الزيادة.

القرآن ونفي التحريف

يقـول الله سبحانـه وتعالـى فـي محكـم كتابـه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1].

هــذه الآية الشريفة تدلّ دلالة تامّة علـى سلامة القرآن الكريم، وأنه محفوظ من التغييـر والتحريف اللفظـي، قال العلّامة الطباطبائيقدس سره فـي تفسيرها: «... **فهو ذكر حيّ خالد مصون من أن يموت ويُنسى من أصله، مصون من الزيادة عليه بما**

(1) سورة الحجر، الآية: 9.

يبطل به كونه ذكراً، مصون من النقص كذلك، مصون من التغيير في صورته وسياقه بحيث يتغيّر به صفة كونه ذكراً لله، مبيّناً لحقائق معارفه، فالآية تدلّ على كون كتاب الله محفوظاً من التحريف، بجميع أقسامه بجهة كونه ذكراً لله سبحانه، فهو ذكر حيّ خالد»[1].

ويقول السيد أبو القاسم الخوئيقدس سره: «**فإنّ في هذه الآية دلالة على حفظ القرآن من التحريف، وأن الأيدي الجائرة لن تتمكّن من التلاعب فيه**»[2]. وقريب من هذا الكلام صدر عن الفخر الرازي والفيض الكاشاني والشيخ الطبرسي وغيرهم.

والمراد من الذكر في الآية المحكي بهذا القرآن الملفوظ أو المكتوب وهو المنزل على رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، والمراد من حفظه صيانته من التلاعب والتغيير والضياع، ولا شك أن مثل هذا الحفظ لا يصحّ إلاّ مع بقائه بمتناول أيدي البشر عامة الذين نزل لهدايتهم. ولا يصحّ إطلاق مثل هذا الحفظ على بقائه بأيدي جماعة خاصة مع عدم إمكان وصول الناس إليه، ولذا صح أن يقال إن بني إسرائيل حرّفوا التوراة والإنجيل مع بقائها مكتومة عند أفراد معيّنين.

السنة ونفي التحريف

وردت روايات عديدة تقتضي سلامة القرآن وحفظه من أيدي التحريف وقد قمنا بتقسيمها إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: روايات العرض على القرآن

ما ورد من الروايات تأمر بعرض الأخبار على كتاب الله بهدف تمييز الروايات

(1) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج12، ص103 و 104.

(2) السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص226.

الصحيحة عن الموضوعة، فهو بمثابة الميزان لقياس الصحيح منها من الفاسد، فإذا فُرض أن القرآن الكريم محرّفاً فكيف يصحّ الأمر بالعرض عليه وكيف يتمّ جعله مقياساً لذلك؟! إذاً لا بد أن يكون المقياس وهو القرآن الكريم سالماً من أيّ تحريف حتى يصحّ العرض عليه، ومن أمثلة هذه الطائفة:

ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**تكثر لكم الأحاديث بعدي، فإذا روي لكم عنّي حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالف فردّوه**»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف**»[2].

قال الفيض الكاشاني رحمه الله: «**وقد استفاض عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله لتعلم صحته بموافقته له، أو فساده بمخالفته، فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرّفاً فما فائدة العرض**»[3].

الطّائفة الثّانية: روايات التمسُّك بالثقلين

الرواية المتواترة التي تأمر بالتمسّك بالثّقلين: «**إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»[4] وما في معناها من الروايات الآمرة بالتمسك بالقرآن، واتخاذه إماماً، والتي تصفه بأنه نور وهداية وناصح، وأنه لا عوج فيه، وأنه عصمة للمتمسّك به، ونجاة للمتعلّق به وأمثال ذلك.

وهذه النصوص كلها تقتضي سلامته وحفظه على تلك الصفة. ولو كان محرّفاً لما كان لها أي معنى حينئذ.

(1) السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ج26، ص71، وفي معناه: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج2، ص225.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج1، ص69.
(3) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج1، ص46.
(4) هذا الحديث بألفاظ متقاربة رواه نيف وثلاثون صحابياً، وهو متواتر لفظاً، ويعتبر من أدلة الإمامة. راجع رواته ومصادره في خلاصة عبقات الأنوار للسيد الميلاني الأجزاء الثلاثة الأولى.

تواتر القرآن الكريم

تقدّم في بحث جمع القرآن الكريم أن القرآن الكريم متواتر حفظاً وتدويناً، فعلى صعيد التدوين، تقدّم أن الرسول ﷺ استخدم في كتابة الوحي عشرات الكتّاب وانتشر التدوين بصورة واسعة جداً، وعلى صعيد الحفّاظ فقد كان عددهم بالمئات بل الألوف، وقد استمرّ هذا التواتر في كل الأجيال وجميع العصور حتى يومنا هذا.

فلا يُعتنى بدعاوى التحريف التي تُخالف القطع وظاهر الكتاب والسنّة النبوية الثابتة.

شواهد تاريخية أخرى

توجد عدّة شواهد تاريخية على أن تحريف القرآن لم يكن متيسّراً حتى لمن كان يرغب بذلك.

فمن ذلك قول عمر بن الخطاب: «**لولا أن يقول الناس إن عمر زاد في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي**»[1].

ومن ذلك أن عثمان أراد حذف الواو من آية الكنز: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ ...﴾[2] ولكن الصحابة اعترضوا عليه ومنعوه من ذلك حتى أن أبيّ قال له: لتُلحقنّها أو لأضعنّ سيفي على عاتقي، فألحقوها[3].

واتفق مثل ذلك مع الخليفة الثاني في «**واو**»: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾[4][5].

(1) السيوطي، الإتقان في علم القرآن، ج2، ص26-25.
(2) سورة التوبة، الآية: 34.
(3) السيوطي، الدر المنثور،ج3، ص232.
(4) سورة التوبة، الآية: 100.
(5) المصدر نفسه، ج3، ص269.

وسواء فُسّر ذلك بأنه سهوٌ وقلّة حفظ أو أنها محاولات هادفة فإنّ المسألة لم تكن متيسرة لهم، وقد سخّر الله سبحانه من يحفظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل.

دعاوى التحريف

يستعمل لفظ التحريف ويراد منه أحد معنيين:

الأول: التحريف المعنوي؛ وذلك بحمل الألفاظ على غير معانيها وتأويلها بما لم تنزل فيه بلا دليل لغوي ولا رواية صحيحة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

وهذا النمط من التحريف وقع بلا شك من قِبَل الكثير من المذاهب وأهل الأهواء والمقالات الفاسدة الذين حاولوا الاستفادة من الكتاب لنصرة مقالاتهم الباطلة، ولأجل ذلك نهى أمير المؤمنين عليه السلام عن مجادلة الخوارج بالكتاب عندما بعث إليهم ابن عباس فقال له: «**لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمّال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنّة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً**»[1].

وذلك لأنهم كانوا يؤوّلون الآيات التي يمكن أن يخاصمهم بها لإلزامهم بوجوب طاعة أمير المؤمنين على وفق أهوائهم وآرائهم. بخلاف نصوص السنّة الصحيحة والصريحة بالمطلوب.

الثاني: التحريف اللفظي؛ ويراد منه تحريف ألفاظ القرآن الكريم بالزيادة أو النقصان أو التبديل، وهذا هو المقصود من البحث وهو محل النزاع في بحث تحريف القرآن، وما قدّمناه من أدلة على سلامة القرآن يقصد سلامته من هذا النوع من التحريف. لكن المؤسف أن بعض المحدّثين الشيعة خُدعوا بالأخبار المتفرّقة التي تدلّ على وقوع التحريف بالقرآن أو التي توهّموا دلالتها على ذلك،

(1) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة جمع الشريف الرضي، الكتاب 77.

وهـي أخبار عامّية في الأعم الأغلب، وقد أسـاؤوا نتيجة ذلك إلى القرآن الكريم ووجّهوا طعنة خطيرة للإسلام بسبب هذا التوهّم.

وجاء بعد ذلك الذين يتربّصون الدوائر بأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وتلقّفوا هـذا الكلام واتّخـذوه مطعناً للإجهاز علـى التشيُّع وتشويه صورتـه. فلا يخلو كتاب يُصنّـف اليـوم ضدّ التشيُّع من فصـول تستغلّ هذه المقولة وتنسـب إلى الشيعة هذه التهمـة بسبب ما ذهب إليـه هؤلاء المحدِّثون، وعلى رأسهـم المحدِّث الشيخ حسين النـوري الذي ألّف كتاباً سمّاه «**فصل الخطاب في تحريـف كتاب ربّ الأرباب**»، أورد فيه اثني عشر دليلاً أو توهّماً وأسهب في التوجيه، وهذه الأدلة المزعومة نذكر أهمّها في الدرس القادم مع الردّ عليها إن شاء اللّه تعالى.

أسئلة الدرس

أجب عن الأسئلة التالية؟

1 - يستفاد من القرآن الكريم والروايات الكثيرة أن القرآن محفوظ عن التحريف والتلاعب، اشرح ذلك من خلال بعض النماذج والشواهد.

....

....

2 - القرآن الكريم متواتر حفظاً وتدويناً، ما هو المقصود بهذه العبارة؟

....

....

3 - تحدّث عن شاهد تاريخي يكشف عن عدم تيسُّر تحريف القرآن لمن كان يرغب بذلك؟

....

....

4 - ما هو الفرق بين التحريف المعنوي والتحريف اللفظي؟

....

....

5 - كيف نستفيد من رواية التمسُّك بالثقلين في نفي التحريف؟

....

....

أجب بـ ✔ أو ✘:

1 - إنّ عرض الأخبار على كتاب الله يهدف إلى تصحيح الآيات القرآنية. ☐

2 - الروايــة المتواترة التي تأمر بالتمسُّك بالثقلين لا تقتضي سلامة القرآن من التحريف. ☐

3 - دعاوى التحريف تخالف القطع وظاهر الكتاب والسنّة النبوية الثابتة. ☐

4 - التحريف اللفظــي: يراد منه تحريف ألفاظ القــرآن الكريم بالزيادة أو النقصان أو التبديل. ☐

5 - التحريف المعنوي: يعني حمل الألفاظ على غير معانيها وتأويلها. ☐

أكمل العبارة بشكل تعطي الرأي الصحيح في المسألة:

التحريف -محفوظاً -النقص - العناية الكاملة -حي خالد مصون

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ صدر الآية مسوق سوق الحصر وظاهر السياق أنّ الحصر ناظر إلى ما ذكر من ردّهم القرآن بأنّه من أهذار الجنون وأنه صلى الله عليه وآله وسلم مجنون لا عبرة بما صنع ولا حجر ومن اقتراحهم أن يأتيهم بالملائكة ليصدّقوه في دعوته وإن القرآن كتاب سماوي حق. والمعنى على هذا والله أعلم أن هذا الذكر لم تأت به أنت من عندك حتى يعجزوك ويبطلوه بعنادهم وشدّة بطشهم وتتكلّف لحفظه ثم لا تقدر وليس نازلاً من عند الملائكة حتى يفتقر إلى نزولهم وتصديقهم إياه بل نحن أنزلنا هذا الذكر إنزالاً تدريجياً وإنا له لحافظون بما له من صفة الذكر بما لنا من .... به.

فهو ذكر .... من أن يموت وينسى من أصله مصون من الزيادة عليه بما يبطل به كونه ذكراً مصون من .... كذلك مصون من التغيير في صورته وسياقه بحيث يتغيّر به صفة كونه ذكراً لله مبيناً لحقائق معارفه. فالآية تدلّ على كون كتاب الله .... من......................................بجميع أقسامه من جهة كونه ذكراً لله سبحانه فهو ذكر حيٌّ خالد.

السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره

تفسير الميزان، ج12، ص102.



الدرس الثامن

الردّ على أدلّة تحريف القرآن الكريم

أهداف الدرس

1 - أنْ يذكر الطالب بعض أدلّة تحريف القرآن الكريم.
2 - أنْ يردّ على عددٍ من أدلّة تحريف القرآن.
3 - أنْ يُعدِّد اثنين من العلماء القدماء والمحدثين ممن يقول بسلامة القرآن من التحريف.



تمهيد

بعد أن تعرّضنا في الدرس السابق إلى معنى التحريف، وإلى أنواعه، بقي الحديث عن أن من ذهب إلى القول بتحريف القرآن الكريم قد ادّعى عدداً من الأدلة على ذلك، فلم يذهب إلى هذا الرأي جزافاً، وفي المقابل إن من اختار القول بعدم تحريف القرآن كما هو الصحيح عليه أن يتعرّض لكل أدلّة المنكرين والردّ عليها، كي لا يكون ادعاء في مقابل ادعاء، ونحن في هذا الدرس نتعرّض لأهم أدلّة القائلين بالتحريف والردّ عليها.

أدلّة وقوع التّحريف:

الأول: ما ورد من روايات تدلّ على أن ما وقع في الأمم السابقة يقع في هذه الأمة أيضاً، ومن المعلوم أن الأمم السابقة حرّفت التوراة والإنجيل، فلا بد أن هذه الأمة كذلك.

ويجاب بأن هذه الروايات عامية المنشأ في الغالب، ومع ذلك فهي ناظرة إلى الحوادث الاجتماعية والسنن التاريخية، ولا يلزم أن يتكرّر كل حدث صغير أو كبير بتفاصيله فلا يصح الاستدلال بها هنا.

الثاني: الروايات التي تظهر كيفية جمع القرآن بحسب ما ورد في كتب القوم، إذ يلزم منها عدم الاطمئنان إلى سلامة الكتاب، كالجمع بالشاهد والشاهدين وأمثال ذلك.

ولكـن تقدّم أنّ القـرآن كان مدوّناً بكامله عند عدد كبير من المسلمين على زمان الرسول ﷺ والتواتر متوفّر في كل الطبقات.

الثالـث: اختلاف القراءات فـي مصاحف الصحابة على ما نقله المفسّرون من أهل السنّة، وهو أحد أنواع التحريف؛ لأن القرآن نزل على حرف واحد.

والجـواب :عن هذا أنـه تقدّم أن عدم تواتر القراءات شـيء وتواتر القرآن شيء آخر، فاختلاف القراءات لا يضرّ بالمادة الأصلية للقرآن.

الرابـع: مـا ورد من أن أبيّ بن كعب كان أقرأ الأمة، وما ورد في أن آيات مصحفه أكثر مما هو موجود الآن، ويستنتج من ذلك طروء النّقص على القرآن.

والجـواب: عن هذا أن هذه الروايات أيضاً ضعيفة وعامية وشاذة، لذلك لا يصح الوقوف عندها في مقابل التواتر الفعلي للقرآن. ونضيف إلى ذلك أن الاختلاف بعدد الآيات لا يدل على الزيادة والنقص؛ لأنهم ربما اختلفوا على أماكن الوقف والفواصل فأدّى ذلك إلى الاختلاف بعدد الآيات وهذا لا يؤثر.

الخامس: أن مـا فعلـه عثمان مـن حمل النـاس على قـراءة واحدة وإحـراق باقي المصاحـف يجعل القـرآن الكريم فـي معرض التشكيك وعـدم الاطمئنان إلى سلامتـه، وإذا أضيف إليه مخالفة ابن مسعود لعثمـان ينتج عنه وجود تحريفات كانت سبباً لمخالفة ابن مسعود.

الجـواب: أنّ عمل عثمـان كان بموافقة صريحة من أميـر المؤمنين عليه السلام، وأنها وحّـدت القـراءات، وأن مخالفة ابن مسعـود لا تدلّ على شيء مما ذكـر، لأنه رفض تسليم مصحفه للإحراق، حيث كان يعتزّ به لأنه كتبه على عهد رسول اللّه ﷺ، فلا يـدلّ على أن المصحف الجديـد كان مغايراً لمصحفه، نعم ربما كان ابن مسعود قد خالـف في الترتيب أو دوّن بعض التفسير والتأويل فيه، فكان رفضه لذلك أيضاً، وهو ليس من التحريف كما هو واضح.

السادس: الروايات التي تصرّح بوقوع التحريف في القرآن.

والجـواب: أن هـذه الروايـات أكثرهـا مروي عـن السياري (الغالـي) وغيره من الضعفـاء، بالإضافة إلـى أن المقصود فيها غالباً هو التحريـف المعنوي لا اللفظي، وقد روي عن الإمـام الباقر عليه السلام بأنهم أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده وهي صريحة في التحريف المعنوي.

السابع: وجود ألف رواية أغلبها شيعي تتضمّن اختلاف القراءة عمّا هو في المصحف الحاضر، وهذه الروايات الألف فيها ما يلي:

1- إن أكثـر مـن 230 رواية منها ترجع إلى السياري الغالي الملعون على لسان الإمام الصادق عليه السلام، ولا يقبله أحد من علماء الرجال عندنا.

2- أكثر من 600 رواية مكرّرة، ذكرها لتعدّد الطرق أو تعدّد المصدر.

3- وبعـد إسقـاط روايات السياري والمكرّرة فلا يبقـى إلا حدود 80 رواية هي عبارة عـن روايات اختلاف القـراءات أكثرها أخذت من مجمـع البيان. والطبرسي في المجمـع يروي عن بعض رواة أهل السنّة مثل الكسائي وابـن مسعود والجحدري والسلمـي والضحّاك وقتادة وابن عمر وابن حجّار ومجاهد وعكرمة وعائشة وابن الزبير وحمزة وابن يعمر الشعبي وغيرهم.

مع أنَّ الكثير من هذه الروايات ناظر إلى التفسير وشأن نزول الآيات، وقد اختلط التفسير بمتن الآيات فيها بسبب عدم استعمال العلامات المميزة للمتن عن التفسير كما هو المتعارف اليوم.

تصريحات كبار علماء الشيعة:

صـرح علماء الشيعـة عبر القرون بسلامـة القرآن من التحريـف، ومع ذلك فإن البعض ممن ينسـب إلى الشيعة تهمة القول بالتحريف يهمل هذه التصريحات عمداً

ويتمسّـك بما ذكره بعض المحدثين لأغراض خبيثة، أو يحمل تلك التصريحات على التقية لإتمام بهتانه. وهذه نماذج ممن صرّح بسلامة القرآن من الشيعة:

1 - الشيخ الطوسي (ت 164هـ) في التبيان ج1 ص3.

2- الشيخ الصدوق (ت 183هـ) في كتاب الاعتقادات ص92 و93.

3- الشيخ المفيد (ت 314هـ) في كتابه أوائل المقالات ص55 و 56.

4- السيـد المرتضـى (ت 634هـ) فـي جـواب المسائـل الطرابلسيات حـكاه عنه الطبرسي في مجمع البيان ج1 ص51.

5- الشيخ الطبرسي (ت 845هـ) في مجمع البيان ج1 ص51.

6- الشيـخ الحـر العاملي (ت 1104هـ) له رسالة في إثبـات عدم التحريف نقل منها رحمة اللّه الهندي في إظهار الحق ص 129.

وفي القرن العشرين:

1 - السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة ج1 ص64.

2- السيـد عبـد الحسين شرف الدّيـن في أجوبة مسائل جـار اللّه والفصول المهمة ص165 و 166.

3- السيـد البروجردي نقله عنه الشيخ لطـف اللّه الصافي في كتاب مع الخطيب في خطوطه العريضة ص49.

4- السيد محسن الحكيم نقل نص عبارته السيد مرتضى الرضوي في كتابه البرهان على عدم تحريف القرآن ص252.

5- السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان ج 12 من ص104 إلى 107، وكتاب القرآن في الإسلام ص71.

6 - الإمام السيد روح الله الخميني في كتابه تهذيب الأصول ج 2 ص561.

7- السيد أبو القاسم الخوئي في كتابه البيان في تفسير القرآن ص952.

وغيرهم كثير.

بـل هناك مـا يشير إلـى أن روايـات التحريف لم تكـن معروفة عنـد الشيعة في القــرن الثالث الهجري، فهـذا الفضل بن شاذان (المتوفي سنــة 62 هـ) والذي كان مــن أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، يطعن في كتابه الإيضاح على أهل السنّة روايتهم لروايات التحريف، وهذا يكشف عن أن ذلك لم يكن معروفاً حتى عند المحدثين من الشيعة ذلك الوقت وإلا لما صحّ أن يطعن عليهم بذلك.

ونختم بما ورد في رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الردّ على أهل الجبر والتفويض أنه قال: «.. **وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حق لا ريب فيه عنـد جميـع أهل الفرق، وفـي حال اجتماعهم مقـرّون بتصديق الكتـاب وتحقيقه، مصيبون، مهتدون...**»[1].

(1) ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ص458، مؤسسة النشر الإسلامي.



أجب عن الأسئلة التالية؟

1. يزعم البعض وقوع التحريف في القرآن كما وقع في التوراة والإنجيل وذلك بمقتضى ما ورد من أن ما وقع في الأمم السابقة يقع في هذه الأمة أيضاً، كيف تردّ على هذا الكلام؟

....

....

2. اشتبه المحدّث النوري في موضوع تحريف القرآن، فما هو منشأ الشبهة التي وردت على ذهنه؟

....

....

3. ما هو رأي علماء الشِّيعة عبر القرون في موضوع تحريف القرآن؟

....

....

4. اذكر دليلين من أدلّة التحريف؟

....

....

5. هل كان القول بالتحريف من المسائل المشهورة عند علماء الشيعة؟ اذكر عدداً من العلماء القائلين بعدم التحريف؟

....

....

كيف تردّ على أدلة التحريف التالية:

- **الدليل الأول:** اختلاف القراءات في مصاحف الصحابة على ما نقله المفسّرون من أهل السنّة، وهو أحد أنواع التحريف؛ فالقرآن نزل على حرف واحد.

....

....

....

....

- **الدليل الثاني:** ما ورد من أن أبيّ بن كعب كان أقرأ الأمة، وما ورد في أن آيات مصحفه أكثر مما هو موجود الآن، ويستنتج من ذلك طروء النقص على القرآن.

....

....

....

....

املأ الفراغ بالكلمة المناسبة:

الزيادة والنقيصة- تحريف - بأوصاف خاصة - كالإعجاز -ذكر محفوظ

قد تبين مما فصّلناه أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه ﷺ ووصفه بأنه .... على ما أنزل مصون بصيانة إلهية عن .... والتغيير كما وعد الله نبيه فيه.

وخلاصة الحجة أن القرآن أنزله الله على نبيه ووصفه في آيات كثيرة .... لو كان تغيُّر في شيء من هذه الأوصاف بزيادة أو نقيصة أو تغيير في لفظ أو ترتيب مؤثّر فقد آثار تلك الصفة قطعاً لكنا نجد القرآن الذي بأيدينا واجداً لآثار تلك الصفات المعدودة على أتمّ ما يمكن وأحسن ما يكون فلم يقع فيه .... يسلبه شيئاً من صفاته فالذي بأيدينا منه هو القرآن المنزل على النبيّ ﷺ بعينه فلو فرض سقوط شيء منه أو تغير في إعرابٍ أو حرفٍ أو ترتيب وجب أن يكون في أمر لا يؤثّر في شيء من أوصافه....................................وارتفاع الاختلاف والهداية والنورية والذكرية والهيمنة على سائر الكتب السماوية إلى غير ذلك وذلك كآية مكرّرة ساقطة أو اختلاف في نقطة أو إعراب ونحوها».

السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره/ تفسير الميزان، ج12، ص107.



الدرس التاسع

أسباب النُّزول



أهداف الدرس

1 - أنْ يَتعرَّف الطالب إلى الخلاف القائم في أسباب نزول الآيات.

2 - أنْ يُدرك مدى أهمية أو عدم أهمية معرفة أسباب نزول الآيات.

3 - أنْ يَذكر بعض أسباب الاستغناء عن روايات أسباب النزول.



تمهيد

نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ في الفترة الممتدّة من البعثة الشريفة إلى وفاته، وكانت الآيات التي تنزل في المناسبات والأحوال المختلفة تتعرّض لمختلف الأغراض الرِّسالية، فتارة تنزل الآيات أو السور لتبيّن حكماً وتُحدّد موقفاً يتطلّبه الواقع المعاش، وأخرى تُجيب على سؤال يرفع إلى الرسول ﷺ، وثالثة تعالج مشكلة حاصلة، وهكذا...، وقد ينزل من القرآن ابتداءً ما يبيّن الأحكام والمعارف الإسلامية، ويقصّ القصص ويضرب الأمثلة الأمر الذي يدخل في الأغراض العامة للرسالة.

وبما أنّ القرآن من عند الله سبحانه إلى الناس قاطبة، والناس في تخاطبهم وتحاورهم يعتمدون على اللغة لإيصال ما يريدونه من معنى، وفي نفس الوقت اللغة تعتمد في مقام التفاهم والتحاور على قرائن يبني عليها كل من المتكلّم والمخاطب في فهم المراد، كان من الضروري التحدُّث عن نوعين من القرائن لاسيما في اللغة العربية.

القرائن الحاليّة

ومن المعروف عند أهل العربية أن المتكلم قد يعتمد في مقام التكلّم والتخاطب على قرائن توضح مراده، وتشكّل جزءاً مهماً من أدوات الخطاب، هذه القرائن لا يمكن إهمالها في مجال تفسير الكلام. وهي على نوعين:

1- **قرائـن مقاليّـة**: مـن نفس اللفظ، فيذكر المتكلّم في كلامـه قرينة لفظية توصل إلى المعنى الذي يريده، فيقول على سبيل المثال: رأيت أسداً يرمي، فكلمة يرمي: قرينة لفظية مذكورة في نفس الكلام تدلّ على أن مراده ليس الحيوان المفترس، وإنما الرجل المحارب وأنه كالأسد في شجاعته وقوته مثلاً.

2- **قرائـن حاليـة**: كالإشارات والحركات وحال المخاطب والواقع الحاصل والظرف المحيط بالمتكلّم أو المخاطب.

فـإنّ المتكلّم عندما يورد جملـة استفهامية مصدّرة بهمـزة الاستفهام مثلاً، قد يكـون غرضه الاستفهام الحقيقي، وقـد يكون غرضه التقرير، وقد يكون غرضه غير ذلك من الإنكار والتعجّب وأمثالها. ولا يمكن التمييز بين الأغراض المختلفة هذه إلا مـن خلال القرائن الحالية غالباً والمقالية أحياناً. مثال ذلك قول تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾[1].

والمناسبات التي كانت تنزل فيها الآيات تُشكّل قرائن حالية تحيط بالنص وتلقي ضـوءاً على المراد منه، وهو أمر يجعل لأسباب النزول أهميّة خاصة في فهم الآيات. حيـث إن معرفة الزمان والمكان وسائر الظروف المحيطة بالنص لها أثر في إماطة اللثـام عن مكنونات المراد. وهـذا أمر لا يقتصر في نطاق فهم القرآن الكريم وإنما هـي قاعدة تجري في كل تخاطب، كالحديـث النبوي وكلام المعصومين أيضاً، ومن هنـا كان بالإمكان أن يقـال إن دراسة السيرة النبويـة وخصوصيات المجتمع المكي والمدنـي وتفاصيل الأحداث التي عاصرت النص لها مدخلية كبيرة في فهم النص. ولا نعني بذلك أن نكتفي بقراءة التاريخ أو السيرة ونفسّر القرآن على ضوء ذلك، فإن دراسـة السيرة يعني التدقيق فيها والوصول إلى الحقائق التاريخية وما هو الصحيح من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم.

(1) سورة النازعات، الآية: 27.

ولعل أسباب النزول هي حلقات ومحطات من تلك السيرة والوقائع التاريخية، لا بد من معرفتها بدقة بعيداً عن الخلفيات المسبقة.

الدّس في أسباب النزول

لقد تعرّضت مناسبات النزول كما تعرّض التاريخ ككل للدسّ والتشويه، وذلك لأغراض عديدة، منها ما كان لأغراض سياسية تهدف إلى تزييف الواقع لصالح الحكام، ولا شكّ أن نزول آية في شخص معيّن يعني الشيء الكثير في هذا المجال.

ومن تلك الأغراض ما يرتبط بتحريف معاني القرآن لتتناسب مع الأهواء والمذاهب. وهذا يجعل من دراسة أسباب النزول مهمّة شاقّة، تحتاج إلى تحقيق وتدقيق في سند الروايات، الناقلة لأسباب النزول، ولا بدّ من تطابق ما ورد في أسباب النزول مع العقيدة الثابتة، ومع سلسلة الحوادث والسير التاريخي حتّى تبدو منسجمة تماماً مع بقية المقاطع.

إسقاطها عن الاعتبار

ونحن في مقام هذا الدسّ الكبير في الروايات، ولا سيما روايات أسباب النزول، نحتاج إلى تطبيق قواعد نقد النصوص الروائية.

فأحياناً يُدّعى نزول آية في شخص، وبعد التدقيق يتبيّن أنّ نزول الآية حصل في زمان تأخّر عن ذلك الشخص.

وقد يروي سبب النزول من لم يكن موجوداً حين نزول الآيات، كما يحصل مثلاً فيما يروى عن ابن عمر أو ابن عباس أو عائشة في مناسبات النزول في السور المكية الأولى، ليس على نحو الرواية عن الغير والحكاية عنهم، بل على نحو الحضور والمشاركة في الحديث.

كمـا أنّ سيـاق الكثير ممـا روي في أسباب النـزول يظهر منه أنّ الـراوي لا ينقل المناسبة روايـة ومشافهة، وإنّما ينقل قصّة تاريخية ثمّ يطبق الآيات عليها ويربطها بها ربطاً، وهذا إن كان يعدّ حكاية لأسباب النزول فهو مجرّد اجتهاد من الراوي.

وعـدد كبير من أسباب النزول التي تـروى متناقضة فيما بينها، وأحياناً قد تروى عن راوٍ واحد أسباب نزول في آية واحدة متناقضة أو لا يمكن الجمع بينها.

ولقـد ساهمت قضيـة المنع من كتابة الحديث في عصـر الخليفة الأول في خلط الأوراق وتضييـع الحقائـق، وفتحت الباب واسعاً أمام النقـل بالمعنى الذي قد يفقد الحديث الكثير مـن الدقة والخصوصيات، ومهّدت الطريق لمن يريد الدسّ والوضع والكذب، - وخاصّة أولئك المتربّصون بالإسلام الدوائر من أهل الكتاب -، ولقد نال أسباب النزول قسطاً وافراً من تلك المدسوسات والموضوعات والإسرائيليات.

هـذه الأمـور دعت الكثير من محقّقينا إلـى التقليل من أهمّيّـة أسباب النزول بل إسقاطها عن الاعتبار.

المنهج اللازم إتباعه في تقييم أسباب النزول

ممّـا تقـدّم يتبيّن أنّه لا بدّ مـن اتباع المنهج التالي قبل الأخذ بـأيّ نصّ متضمّن لسبب نزول آية قرآنية:

أولاً: التأكّد من عدم معارضة ما ورد في سبب النزول مع العقيدة الثابتة والصحيحة.

ثانيـاً: إنّ أسبـاب النـزول هي روايات تحكي لنا شأن النـزول الذي يساعد على فهم القـرآن وتحديـد المراد مـن آياته. وعليه فلا بـدّ من عرض الأخبـار المتضمّنة لأسبـاب النـزول أيضاً على القـرآن قبل كلّ شيء، وإسقاط مـا كان منها مخالفاً للقرآن.

والمخالفة هنا لا بدّ أن تكون لما هو بيّن واضح ومعروف الدلالة. فلا يرد إشكال الدور الذي قد يدّعى.

ثالثاً: يجري التحقيق في أسانيدها لإثبات صحّتها وعدم نقلها عن الوضّاعين والضعفاء، وإلا فيجري فيها أحكام التعارض.

رابعاً: إنّ القرآن الكريم هو الأصل الذي ينبغي عرض الأحاديث عليه لتمييز الموافق من المخالف، وعلى أساسه نقبل الحديث أو نرفضه.

خامساً: التأكّد من صحّة المضمون تاريخياً وإمكانه، وذلك بتوافقه مع المسار التاريخي للأحداث، ومع زمان نزول الآية.

سادساً: التأكّد من عدم معارضة رواية سبب النزول مع غيرها من الروايات.

فما يسلم عندنا من روايات أسباب النزول نستفيد منه في تفسير الآيات، ولكن لاحظَ العلماءُ أنّه بعد إجراء هذه الموازين لم يسلم عندنا منها إلا القليل، ولأجل هذا لم يعلّق عليها السيّد الطباطبائي رضوان اللّه عليه الكثير من الأهمية، واعتبر أنّ المعارف القرآنية العالمية الدائمة لا تحتاج أبداً إلى أسباب النزول[1].

الاستغناء عن أسباب النزول

وفي الحقيقة إنّ الثروة التفسيرية التي وصلتنا عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم أفضل الصلاة والسلام أعانت كثيراً المفسّرَ الشيعيَّ، في حين أنّ المفسّرَ المخالف حُرِم منها، فلم يعد أمامه بدّ من التشبُّث بأسباب النزول، ونحن لا ننكر العلاقة الوثيقة بين التفسير وأسباب النزول، إلاّ أنّ ما يروى فيه من نصوص اعتمدها المفسّرون الكثير منها ساقط؛ إمّا سنداً أو لمخالفته للقرآن والعقائد الثابتة. وقد تعرّضت أحاديث أسباب النزول للكثير من التشويه والخلط لأهداف وأسباب عديدة.

(1) العلامة الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص153 و154.

المورد لا يخصِّصُ الواردَ

ومهما يكن فإنّ أسباب النزول ليست في حقيقتها وواقعها سوى مناسبات استدعت نزول الآية في وقت ما وظرف خاصّ، وفي الغالب فإنّ الآيات النازلة في مناسبات خاصّة كانت تؤسّس لقاعدة عامّة أو لحكم كلّي أو يبيّن حقيقة علمية، وهذا يعني أنّ النازل من القرآن في تلك المناسبات لا يختصّ بذلك المورد أو تلك المناسبة، وعليه فإنّ شأن النزول لا يلعب دوراً في تخصيص ما نزل عامّاً، وتقييد ما نزل مطلقاً.

فالقرآن الكريم وإن نزل في زمان محدّد لكنّ الخطاب القرآني لا يختصّ بجيل النزول، وهو يخاطب البشرية عامّة والأجيال كلّها.

فآية الظهار مثلاً نزلت بمناسبة مظاهرة أوس بن الصامت لزوجته خولة بنت ثعلبة كما في رواية، أو في غيرهما كما في رواية أخرى، إلاّ أنّ حكم الظهار الذي تضمّنته الآية لا يختصّ بهما، ولكنّه يجري في كلّ حالة مشابهة إلى يوم القيامة.

ومثلها كلٌّ من آية السرقة وآية الزنا وآية القذف والحجاب واللعان....

وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**إنّ القرآن حيّ لا يموت، وإنّ الآية حيّة لا تموت فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا ماتت الآية لمات القرآن ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين**»[1].

وروي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**إنّ القرآن حيّ لم يمت وإنّه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا**»[2].

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج35، ص404.
(2) المصدر نفسه، ج35، ص404.

وقد اشتهـر بين الفقهاء قولهم إنّ المورد لا يخصّص الوارد، وهم يريدون بذلك المعنى المتقدّم ذكره.

التطبيق والجري

كثيـراً ما يـوردون الآيات القرآنية بعد ذكر الحـوادث التاريخية لانطباقها عليها، دون دعـوى نزولها فـي شأنها. فيأتي من لا دقّة له في النقـل فيتخيّل نزولها في تلك الواقعة فينقل ذلك.

وأحيانـاً يـرد التطبيـق علـى لسـان الرسـول ﷺ نفسـه أو علـى لسـان بعض الأئمـة عليهم السلام، وهـذا ينسجـم تماماً مع ما قدّمنـا من كون الآية تبقـى على عمومها وإن نزلـت في مناسبة خاصّة، وهي تقبل الانطباق على كلّ مورد يتناوله عمومها وإن حصلا في زمان متأخّر عن زمان نزول الآية.

بل ربما ورد تفسير آية لفظ عامّ بمصداق معيّن أو واقع خارجي خاصّ، وهو أيضاً كثيـر، ومع ذلك فهو لا يعني مطلقاً تخصيص الآية وإلغاء عمومها، وإنما هو من باب التطبيـق والجري. وإلى هـذا الأمر يشير باستمرار العلامـة الطباطبائي في تفسير الميـزان، وهو مـن التفسير بذكر المصـداق الخارجي أو الإشارة إلـى أحد الموارد وأنها مقصودة في الآية، لا أنها تمام المقصود.

النتيجة: نظراً لفقدان أكثر ما يروى في أسباب النزول للسند المعتبر أو غيره من شروط القبول فلا يمكن الاعتماد عليها، وبذلك تقلّ أهمية دراسة أسباب النزول.

ومع ذلك فهي لا تخصّص العامّ ولا تقيّد المطلق، فتسميتها بمناسبات النزول أو شأن النزول أولى من تسميتها بالأسباب.

وقـد بالغ أهل السنّة بالاهتمام بأسباب النـزول وأعطوها دوراً كبيراً في التفسير رغـم اضطـراب أسانيدها. بينمـا أثرى التـراث التفسيري عند الشيعـة ما ورد في المأثور عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

نماذج مدروسة في أسباب النزول

1- قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[1].

روى البخاري أنّها نزلت في أبي طالب عندما حضرته الوفاة[2].

وهو غير صحيح لكون السورة مدنيّة إجماعاً.

وهـو مبني علـى مذهبهم من وفاة أبي طالب رضي الله عنـه على الكفر وقد ثبت عندنا أنّه مات على الإيمان.

وقد روي عندهم رواية أخرى في أنها نزلت في استغفار الرسول ﷺ لوالدته[3].

2- قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ ... ﴾[4].

رووا في الصحيحين[5] أنّها نزلت لما سأله اليهودي عن الروح، ويفترض أن يكون السـؤال في المدينة لأنّه هناك جاور اليهود وجرى لـه معهم الكثير من المناظرات، بينمـا السـورة مكية بالإجماع، فالسـؤال إذن ينبغي أن يكون مـن قبل المشركين في مكة، ولا مانع أن يكون بتوجيه من اليهود.

3- قوله تعالى: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾[6].

(1) سورة التوبة، الآية:113.
(2) الواحدي، أسباب النزول،ص182. والبخاري كتاب الجنائز باب 81، ومناقب الأنصار باب40.
(3) الواحدي، أسباب النزول، 183.
(4) سورة الإسراء، الآية: 85.
(5) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام باب 3و8 وكتاب العلم باب 47.
(6) سورة النساء، الآية: 43.

رووا فـي سبب نزولها[1] أن جماعة من كبـار الصحابة كانوا قد دعاهم رجل إلى طعـام فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت الصلاة قدّموا أحدهم ليصلّي بهم فقرأ: «**أعبد ما تعبدون، وأنتم عابدون ما أعبد**» فنزلت الآية. وقد ذكر بعضهم أن صاحب الدعوة هو عبد الرحمن بن عوف، وإن من بينهم علي عليه السلام، وأن الذي تقدّم للصلاة هـو علي أو عبد الرحمن، وهو لا يصحّ حتى مع القول بأن القصة قبل تحريم الخمر، لأن علياً عليه السلام لـم يعاقرها أبـداً، ولأن مقتضى العصمة عـدم إمكانية ذلك وعدم إمكانيـة خطأ القراءة عليه خاصة فـي مثل هذه المواضع التي لا يمكن أن تبرّر بعدم تحريم الخمر، بالإضافة إلى أن النهي عن الخمر جاء في سورة الأعراف وهي مكية. فالقصـة من وضـع الكذّابين زمن الأمويين لإرضاء أمرائهـم الحاقدين على الإمام علي عليه السلام وقد فسّر في روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام بأنه سكر النوم[2].

(1) راجع: الزمخشري، تفسير الكشاف، ج1، ص513.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج3، ص371.



أسئلة الدرس

أجب عن الأسئلة التالية؟

1- لماذا كانت لأسباب النزول أهمية خاصة في فهم الآيات؟

....

....

2- ما هي الأسباب التي جعلت المحقّقين يقلّلون من أهمية أسباب النزول ويسقطونها عن الاعتبار؟

....

....

3- لماذا لا تعتبر مشكلة عدم التثبُّت من أسباب النزول سدّاً منيعاً بوجه المفسّر الشيعي، بينما هي كذلك بالنسبة للمفسّر السنّي؟

....

....

4- هل يختصّ القرآن بالمناسبة التي نزل فيها بحيث يكون الخطاب القرآني في زمان محدّد مختصّاً بذلك الجيل المعاصر؟

....

....

5- أعطِ نموذجاً من النماذج المدسوسة في أسباب النزول؟

....

....

أجب بـ ✔ أو ✗:

1 - القرينة المقاليّة تكون من نفس المعنى، فيذكر المتكلّم في كلامه قرينةً معنويةً توصلُ إلى المعنى الذي يريده. ☐

2 - القرائن الحالية تكون مثل الإشارات والحركات وحال المخاطب والواقع الحاصل والظرف المحيط بالمتكلّم أو المخاطب. ☐

3 - نعـرف أن التاريخ تعرّض ككل للدسّ والتشويه، إلا أن مناسبات النزول وأسبابه لم يمسّها التشويه والدس. ☐

4 - التطبيـق والجـري هـو اصطلاح يعنـي أنّ النـازل من القـرآن في تلك المناسبات لا يختصّ بذلك المورد أو تلك المناسبة. ☐

5 - إن اصطـلاح (المورد لا يخصص الوارد) يعني أن الآية تقبل الانطباق علـى كلّ مورد يتناوله عمومهـا وإن حصلا في زمـان متأخّر عن زمان نزول الآية. ☐

املأ الفراغ بالكلمة المناسبة

إخفائها - أسباب النزول - البيئات الحاكمة - الروايات - الحوادث التاريخية

ليتبصّـر الباحـث المتأمّل أن ما ذكروه مـن أسباب النزول كلهـا أو جلها نظرية بمعنى أنهـم يـروون غالبـاً .... ثم يشفعونها بمـا يقبل الانطباق عليها من الآيات الكريمة فيعدونها .... وربما أدّى ذلك إلى تجزئة آيـة واحـدة أو آيات ذات سيـاق واحد ثم نسبة كل جزء إلى تنزيـل واحد مستقل وإن أوجـب ذلك اختلال نظم الآيات وبطـلان سياقها وهذا أحد أسباب الوهن في نوع .... الـواردة فـي أسباب النزول. وأضف إلى ذلك ما ذكرناه في أول

هذا البحث أنَّ لاختلاف المذاهب تأثيراً في لحن هذه الرِّوايات وسوقها إلى ما يوجه به المذاهب الخاصة.

على أن للأجواء السياسية و .... في كل زمان أثراً قوياً في الحقائق من حيث .... أو إبهامها فيجب على الباحث المتأمل أن لا يهمل أمر هذه الأسباب الدخيلة في فهم الحقائق والله الهادي».

السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره، تفسير الميزان، ج5، ص370.



الدرس العاشر

النسخ في القرآن



أهداف الدرس

1 - أنْ يتعرَّف الطالب إلى مصطلح النسخ في علوم القرآن.

2 - أنْ يميّز الحكمة من النسخ.

3 - أن يفرّق بين النسخ والتخصيص.

تمهيد

يعتبر بحث النسخ في القرآن الكريم من أهم أبحاث علوم القرآن قديماً وحديثاً، وهو مورد نقاش وأخذ ورد بين العلماء، وقد انتقل هذا البحث من هذا العلم ودخل في الأبحـاث الأصولية عند السنة والشيعة، لكن تختلـف الجهة التي يتعرّض لها هناك، من هنا كان من الضروري أن نتناول هذا البحث بكل جوانبه وتفاصيله، وبيان النسخ بالمعنـى اللغوي والمعنى الاصطلاحـي أيضاً، ومن ثم التركيز على محل النزاع فيه، وبعد ذلك نذكر الفائدة العملية لهذا البحث، وما يترتّب عليه من آثار ونتائج، إن شاء اللّه تعالى.

تعريف النَّسخ

1 - **المعنـى اللغـوي**: استعمل النسخ في اللّغة بمعنى الإزالة، فقالوا: نسخت الشمس الظلّ، أي أزالته.

2 - **المعنـى الاصطلاحـي**: يطلق النسخ في الشريعة على رفع الحكم الشرعي الذي كان ثابتـاً في الشريعة بحيث إنه لولا النسـخ لاستمرّ بمقتضى دليله. فهو إذاً رفع تشريع سابق بتشريع لاحق.

إنَّ الأحكام الشرعية بعضها قد يشرّع بصورة مؤقّتة؛ أي له أمدٌ ينتهي الحكم بانتهائه، وبعضها الآخر قد يشرّع دون أن يكون له أمدٌ وإنّما هو حكمٌ مستمرٌّ وباقٍ.

والقسم الأوّل تارة يبيّن أنّه مؤقّت في لسان دليله بحيث يُعلم أنّ هذا الحكم مؤقّت منذ البداية.

وأخرى لا يبيّن لنا في لسان دليله أنّه مؤقّت بحيث يكون ظاهر الدليل ولو من خلال إطلاقه أنّه حكمٌ ثابتٌ ومستمرٌّ.

هذا النَّوع الأخير من الأحكام هو موضوع بحثنا، فإنّه عند انتهاء أمد الحكم يرد من قبل الشريعة بيان جديد لحكم جديد يلغي الأوّل وينسخه، فيسمّى الأوّل حكماً منسوخاً والجديد ناسخاً.

كما أنّ دليل الحكم الجديد ناسخ لدليل القديم؛ لأنّه مزيل له أو لتأثيره ومضمونه.

يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ...﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، ومن المعلوم أنّ هاتين الآيتين تثبتان إمكانية النسخ.

وعليه: فإنّ ارتفاع الحكم أو التشريع المؤقّت صراحة في لسان الدليل عند انتهاء أمده لا يطلق عليه اسم النسخ. كما أنّ ارتفاع الحكم الأوّلي عند مصادفة الحرج والاضطرار الذي هو موضوع لحكم ثانوي لا يطلق عليه اسم النسخ أيضاً، كما في ارتفاع حرمة أكل الميتة عند اضطرار الإنسان له، أو الصلاة من جلوس أو بالإيماء عند عدم القدرة على الصلاة الاختيارية، وأمثال ذلك.

(1) سورة البقرة، الآية: 106.
(2) سورة النحل، الآية: 101.

حكمة النسخ

في القوانين البشرية الوضعية كثيراً ما تصدر المراسيم والمقرّرات فتغيّر الدستور السابق الثابت أو القانون، وعادة يكون الداعي إلى ذلك أحد أمور:

1 - اكتشاف عدم صلاحية القانون أو الدستور السابق ووجود ثغرات فيه تحتاج إلى علاج جديد.

وفيه: إنّ هذا لا يتصوّر مطلقاً في النسخ الشرعي؛ لأنه تعالى منزّه عن الجهل وعن العبث، بل هو لا يضع شرعة ولا حكماً إلا حسب مقتضى المصالح التي هو أعلم بها، ولا تخفى عليه خافية.

2 - تتغيّر وجوه المصلحة والمفسدة نتيجة تجدّد بعض الظروف أو الأوضاع التي تجعل القانون السابق لا يلائم المستجدّات، مما يلزم تغيير القانون بما يتناسب مع الوضع الحالي، ومع ذلك فإن واضعي القانون السابق لم يكن في علمهم أن المستجدّات ستحصل لتعالج منذ البداية في القانون السابق.

وفيه: إن الله تعالى عالم بالأشياء قبل حدوثها، فهو حسب الفرض عالم بالمتغيّرات والمستجدّات، فكان المفروض أن تؤخذ بنظر الاعتبار عند التشريع منذ البدء.

هذان الأمران دفعا بعض المشكّكين إلى إنكار إمكانية النسخ.

أين مصلحة الحكم؟

ولكنّ الإشكال يرتفع إذا أدركنا أين تكمن المصلحة المقصودة في مِلاك الحكم:

1 - أحياناً لا تكون قائمة في نفس الفعل، بمعنى أن الغاية والحكمة من الأمر والنهي قد تكون لمجرّد الامتحان والاختبار، وهذا النوع من الأحكام لا مانع من وضعه

ورفعه في أي وقت يترتّب على الأمر مصلحة الامتحان والاختبار، بل أحياناً تكون مصلحة الامتحان أقوى من المفسدة المترتبة على الفعل، أو أقوى من مصلحة فعل آخر يزاحمه فيترك لصالح هذا الحكم.

2 - وأحياناً تكون المصلحة في نفس الفعل والمفسدة كذلك، إلاّ أنه يمكن أن تتغير بحسب اختلاف الأزمان، فيكون هناك زمان ذا مصلحة تنتفي في زمان آخر، وإذا كان التغير مجهولاً عند البشر فهو معلوم عند الله تعالى بلا شك، ومع ذلك لا يلزم أن يكون التشريع منذ البداية مراعياً للتغيرات، إذا كان في قصد المشرّع أن ينسخ الحكم عند تبدُّل المصلحة وتغيّر الأحوال.

وهناك أمور أخرى قد تكون أحياناً لها مدخلية بتحقُّق المصلحة والمفسدة، كالتدرُّج في التشريع الذي له مصلحة خاصة تكون أحياناً أهم من المفسدة الحاصلة بترك الواقع.

ومثال الأول: القبلة.

يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

ومنه يظهر أن القبلة الأولى لم تكن إلا للامتحان.

ومثلها أيضاً آية النجوى. يقول تعالى: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ﴾[2].

فقد ورد أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول الآية فرض على كل مسلم صدقة درهم واحد عند

(1) سورة البقرة، الآية: 143.
(2) سورة المجادلة، الآية: 12.

كل مسألـة فرضاً على الأغنياء دون الفقـراء، وقال المفسّرون لم يعمل بهذه الآية إلا الإمام عليّ عليه السلام رغم أنه كان من الفقراء.

ثم نسخت الآية بعد تحقُّق الاختبار المطلوب بالآية اللاحقة.

ومثال الثاني: عدد المقاتلين.

قـال تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾[1].

ثـم قـال: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾[2].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**فنسخ الرجلان العشرة**»[3].

ومثـال الأحـكام المؤقتـة منذ البدايـة قوله تعالـى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾[4].

فقـد جعـل اللّه لهـن السبيل في آية الجلد وفـي حكم الرجم وهـذا مبني على أن المراد من الفاحشة الزنا، وإلا فلو كان المراد الأعم منه ومما يقبح ويفحش فالحكم الأول باقٍ والثاني مجرّد تخصيص له.

وأمثلة الأحكام التي فرضت لأغراض تأديبية وفي سياق المعاقبة كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾[5].

(1) سورة الأنفال، الآية: 65.
(2) سورة الأنفال، الآية: 66.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج5، ص69.
(4) سورة النساء، الآية:15.
(5) سورة النحل، الآية 124.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[1].

إلى هنا تبيّن معنا إمكانية النسخ وعدم منافاته لحكمة المشرّع وعلمه المطلق. وتبيّن معنا أيضاً أنه قد تقتضي الحكمة إخفاء التوقيت وإطلاق لسان الدليل، لينسخ الحكم عندما يتحقّق المقتضي لذلك.

الفرق بين النسخ والتخصيص

الأحكام الشرعية يمكن أن تُبيَّن في بداية الأمر بلفظ عام في دليل، ثم يرد في دليل آخر تخصيص لتلك الأحكام. كما إذا ورد دليل يقول: أطعم الفقراء أو أطعم كل فقير، ثم جاء دليل آخر يقول لا تطعم الفسَّاق من الفقراء، وحكمة التدريج في التشريع أو في بيان الأحكام هي التي قد تقتضي تأجيل البيان إلى وقت الحاجة.

وربما كان الدليل الأول في مقام بيان أصل التشريع دون تفصيلاته، بينما يترك أمر التفاصيل إلى أدلة لاحقة في السنّة النبوية الشريفة.

والنتيجة:

إن التخصيص هو إخراج جزء من الموضوع أو بعض أفراد موضوع الحكم العام، وأما النسخ فهو إلغاء الحكم الذي كان ثابتاً في زمانٍ سابق إلغاؤه في الزمان اللاحق.

وقوع النسخ في القرآن

هناك آيات كثيرة جداً ادّعي أنها منسوخة بآيات أخرى، لكن التدقيق فيها يكشف عن عدم دخولها تحت النسخ الاصطلاحي، إما باعتبار اختلاف الموضوع أو باعتبار الانسجام التام بينها وعدم التنافي، أو لكونها تدخل في باب التخصيص، أو لأن

(1) سورة النساء، الآية:160.

الحكم الأول مقيّد بالزمان والأمد المحدود من البداية، أو لغير ذلك من الاعتبارات التي تخرجها من باب النسخ.

وقد أورد السيد أبو القاسم الخوئي 36 آية من الآيات التي ادّعي أنها منسوخة وبعد البحث والتدقيق فيها خرج أغلبها من باب النسخ لأحد الاعتبارات المتقدّمة[1].

ومهما يكن فإن نسخ الآية لغيرها ينبغي أن يتوفّر فيه أمور:

1 - وحدة الموضوع في الآيتين.

2 - التنافي في الحكم ليكون أحدهما رافعاً للآخر.

3 - عدم كون الآية المنسوخة مقيّدة بأمد خاص، أو مشروطة بظرف معيّن.

أما نسخ القرآن بالسنّة النبوية الشريفة فلو فرضنا إمكان ذلك، لوجب أن يكون الناسخ (السنة) متواتراً قطعياً. فالقرآن لا ينسخ بخبر الواحد، كما اتفق العلماء.

ولكن بما أن السنّة القطعية الناسخة للقرآن غير موجودة فينتفي هذا الفرض من أساسه.

نسخ التلاوة

ما تحدّثنا عنه من النسخ كان يتناول نسخ الحكم الوارد في آية قرآنية مع بقاء الآية واتصافها بالقرآنية، وهو المقصود عادة من كلامهم.

لكن ادُّعيَ أن آيات من القرآن نسخت تلاوتها أي أزيلت من القرآن فهي لا تتلى وربما بقي حكمها وربما لم يبق. وهذه الدعوى التزم بها أهل السنّة نتيجة روايات عديدة رويت من طرقهم تتحدّث عن آيات من القرآن كانت تتلى ولكنهم لا يجدونها في القرآن وكان لا بد لهم أمام هذه الروايات من التزام أحد أمرين:

(1) السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، 381-287.

الأول: سقوط تلك الروايات عن الاعتبار وإهمالها والحكم عليها بالكذب.

الثاني: الالتزام بطروّ النقص على القرآن وذهاب جزء منه انسجاماً مع مدلول تلك النصوص.

وكلا الأمرين كان محرجاً لهم:

فالأول: يقتضي التنازل عن اعتبار روايات وردت في كتب حكموا عليها بالصحة ونالت درجة كبيرة من القدسية عندهم حتى عدّوا لقراءتها من الفضل والاستحباب والبركة ما يأتي بعد القرآن مباشرة.

والثاني: لا يمكن الالتزام به لأنه يخالف الضرورة التاريخية وتواتر القرآن الكريم وإجماع المسلمين على سلامته من التحريف.

ولأجل التخلّص من هذا المأزق ابتكروا مقولة «**نسخ التلاوة**»، ومفادها أن هذه الآيات كانت قرآناً ولكن اللّه سبحانه وتعالى نسخها فخرجت بذلك عن صفة القرآنية مع بقاء حكمها.

والحقيقة أنّ هذه الدعوى لا دليل عليها أصلاً، ولم يوردوا ما يدلّ على ذلك إلاّ تلك الروايات التي مؤدّاها التحريف المرفوض.

ولأجل ذلك رفض أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام نسخ التلاوة رفضاً باتاً ورفضوا الروايات الدالة على سقوط شيء من آيات القرآن وعدّوها من روايات التحريف المرفوضة كما تقدّم الإشارة إليه، هذا بقطع النظر عن رواتها وناقليها.

والعجيب عدم الالتفات إلى أن ما يدّعي أنه كان من القرآن ونسخت تلاوته يحمل معه دليل سقوطه وكذبه نظراً لعدم توفّر النظم القرآني والبلاغة القرآنية في شيء منه.



أجب عن الأسئلة التالية؟

1 - ما هو المعنى المقصود من النسخ في القرآن؟

....

....

2 - ألا يلزم من النسخ نسبة الجهل إلى اللّٰه تعالى؟ أوضح ذلك من خلال المثال؟

....

....

3 - كيف تفرق بين النسخ والتخصيص؟

....

....

4 - هل يوجد في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، وهل يُنسخ القرآن بالسنّة النبوية الشريفة؟

....

....

5 - كيف تردّ على دعوى أن في القرآن آيات نسخت تلاوتها؟

....

....

أجب بـ ✔ أو ✖:

1 - النسخ هو رفع تشريع لاحق بتشريع سابق. ☐

2 - يسمّى الحكم الأوّل حكماً منسوخاً والجديد ناسخاً. ☐

3 - نسخ التلاوة يعني أنّه إذا أزيلت آية من القرآن فهي لا تتلى وربما بقي حكمها وربما لم يبق. ☐

4 - لقد رفض أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام نسخ التلاوة رفضاً باتاً. ☐

5 - إن تغيير القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام لم يكن من النسخ بل هو حكم جديدٌ كلياً. ☐

املأ الفراغ بالكلمة المناسبة

بالناسخ – أحكامها– آيات سابقة – مصلحة زمنية محدودة –بالمنسوخ

إنّ آيات الأحكام الواردة في القرآن آياتٌ احتلّت .... مكانَ أحكام كانت موضوعة في ....، فأنهت مفعولها ولم تعد تلك الأحكام معمولاً بها. وتسمّى الآيات السابقة .... والآيات اللاحقة .... والنسخ الذي يدور على ألسنتنا حقيقته هي: وضع قانون لمصلحة ما والعمل به ثم ظهور الخطأ في ذلك وإلغاؤه ووضع قانون جديد مكانه. لكن لا يمكن نسبة مثل هذا النسخ الدال على الجهل، والخطأ إلى الله تعالى المنزّه عن كل جهل وخطأ، ولا يوجد هكذا نسخ في الآيات الكريمة الخالية عن وجود أي اختلاف بينها. بل النسخ في القرآن معناه : انتهاء زمن اعتبار الحكم المنسوخ. ونعني بهذا أن للحكم الأول كانت .... وأثر مؤقّت خاص تعلن الآية الناسخة انتهاء ذلك الزمن المحدود وزوال الأثر. ونظراً إلى أن الآيات نزلت في مناسبات طي ثلاث وعشرين سنة من السهولة بمكان تصوّر اشتمالها على هكذا أحكام».

السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره / القرآن في الإسلام، ص50.



الدّرس الحادي عشر

المحكم والمتشابه في القرآن



أهداف الدرس

1 - أن يتعرَّف الطالب إلى معنى المحكم والمتشابه.

2 - أن يدرك الحكمة من وجود المتشابه في القرآن.

3 - أن يتعرَّف إلى معنى التأويل.





تمهيد

مـن أهمّ الأبحـاث العلمية في علوم القرآن الكريم هو بحـث المحكم والمتشابه، وهـو بحث قديـم يرجع للزمـن الأوّل بعد النبـيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، في زمـن التابعين من الأصحـاب، حيث نجد في تعابيـر أمير المؤمنين عليه السلام العبـارات الصريحة الدالة علـى هـذا البحث، وهو من الأبحاث التـي لا يستغني عنها فقيه مـن الفقهاء، لأنه لا يستطيـع أن يقدّم أي فتوى من الفتاوى دون الرجوع إلى القرآن الكريم لأنه المصدر الأول مـن مصادر التشريـع الإسلامي، والرجوع إلى القرآن يحتـاج إلى التمييز بين المحكـم والمتشابه، وهذا البحث الذي بين أيدينا معقـود لبيان المراد من المحكم والمتشابـه، والمـراد من التأويل، وكيفيـة التعاطي مع المتشابهـات، ولماذا كان في القرآن الكريم بعض آيات متشابهات، ولم يكن كله من المحكمات؟

معنى المحكم:

قـال تعالـى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1].

(1) سورة آل عمران، الآية: 7.

الإحكام في اللغة: يعني الإتقان، ويوصف به الكلام إذا كانت دلالته على المراد واضحة؛ بحيث لا تحتمل وجوهاً أخرى من المعاني، ومن هنا كان المحكم هو الذي لا تعتريه شبهة من حيث الدلالة والمعنى، ولا يتعدّد فيه احتمال المعنى.

وأما المتشابه: فهو مأخوذ من تشابه الوجوه أي تماثل بعضها مع بعض آخر، بحيث يحتمل وجوهاً متعدّدة من المعاني. ومن ثمّ كان المتشابه ما فيه شيء من الخفاء، فكان ظاهره لا ينبئ بنفسه عن المراد، ما لم يرجع إلى المحكم من القرآن الكريم، أو القرائن والدلالات الواردة في الروايات الواردة عن أهل بيت النبوة عليهم السلام الكاشفة عن الدلالة الصحيحة أو المعنى المراد.

إذن فالمتشابه بحاجة إلى التأويل والإرشاد إلى الوجه المتعيّن من الوجوه المحتملة، وإذا أُرجعت المتشابهات إلى المحكمات ارتفعت جميع جوانب الإبهام والتشابه أو كثير منها.

والآية الشريفة السابقة الذكر تتحدّث عن مرضى القلوب وطلّاب التحريف المعنوي، الذين يريدون استخدام القرآن الكريم وسيلة للوصول إلى مآربهم الخبيثة، فيلجؤون إلى المتشابهات، وأما التمسّك بالمتشابهات بالطريقة الصحيحة وعلى أساس إرجاعها إلى المحكمات التي تفسّرها، أو الرجوع إلى الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويلها، فإنّ ذلك جائز لا ريب فيه.

حكمة المتشابه في القرآن

من المعلوم أن القرآن كتاب هداية للناس، وهو الكتاب السماوي الخاتم الذي لا كتاب بعده للناس، فينبغي أن يكون خالياً من التحريف والنقص وأيّ شيء يؤثّر سلباً على الهدف الذي من أجله نزل القرآن، والمتشابه قد يوقع الإنسان في الالتباس والشبهات، وذلك لعدم وضوح معنى المتشابه، ولتعدّد الاحتمالات فيه، فقد يسأل سائل أنّه ما الحكمة في وجود المتشابه في القرآن؟

الجواب: إنّ القرآن الكريم تصدّى لبيان أمور كثيرة غير محسوسة، ولا يمكن تصويرها ولا التعبير عنها بالطريقة المتعارفة، إلا إذا استعين بالمجازات والاستعارات والكنايات، وتقريب تلك المعاني بتشبيهها بالمحسوسات، وذلك لأمرين:

1- ضيق العبارات، وعجز الألفاظ.

2- عجز الأذهان البشرية الساذجة عن إدراك تلك المعاني إما لدقّتها أو لخفائها عن غير أهلها.

وعلى سبيل المثال: كيف نعبّر لشخص لم يسافر خارج بلده ولم يرَ البلدان الأخرى عن بعض المناظر الموجودة في البلاد الأخرى؟ ألا نضطر للاستفادة من التشبيه والتمثيل له ببعض الأمور الموجودة في بلده؟ وإذا أردنا أن نصف للطبيب بعض الآلام التي نشعر بها، ألا نشبه له الألم بأمور محسوسة؟ والله سبحانه وتعالى عندما يريد أن يخبرنا مثلاً عن بعض ملذّات الجنة ألا يشبهها لنا بما تدركه عقولنا من تفاح ورمان و... ولكن تفاح لا كتفاح الدنيا ورمان لا كرمان الدنيا وهكذا سائر النعم في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكذلك الأمر بالنسبة للعذاب فهو ليس كعذاب الدنيا أبداً، ولكن يشبّه لنا ببعض أنواع العذاب الدنيويّ كي نستطيع فهم المعنى على قدر المستوى البشري.

ويؤكّد هذا المعنى العلامة الطباطبائي حيث ذهب إلى أنّ سبب وقوع التشابه في القرآن يعود إلى كون القرآن الكريم يخضع في إلقاء معارفه العالية لألفاظ وأساليب دارجة لم تكن موضوعة سوى لمعانٍ محسوسة أو قريبة منها، ومن ثمّ لم تكن تفي بتمام المقصود، إلا بارتكاب الكنايات والمجازات فوقع التشابه فيها وخفي وجه المطلوب إلا على أولئك الذين نفذت بصيرتهم وكانوا على مستوى رفيع من العلم[1].

(1) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج3، ص58-62باختصار.

وفي هذا المجال يقول الشيخ محمد عبده:

«إنّ الأنبياء بعثوا إلى جميع أصناف الناس من دانٍ وشريف وعالم وجاهل وذكي وبليد، وكان من المعاني ما لا يمكن التعبير عنه بعبارة يفهمها كل أحد، ففيها من المعاني العالية والحكم الدقيقة ما يفهمه الخاصّة ولو بطريق الكناية والتعريض، ويؤمر العامّة بتفويض الأمر فيه إلى الله والوقوف عند حدّ المحكم فيكون لكلٍّ نصيبه على قدر استعداده»[1].

كيف نتعامل مع المتشابه؟

وقصور الذهن البشري بشكل عام عن إدراك المعنى الدقيق والكامل للقرآن لا يعني ذلك أبداً خروج القرآن الكريم عن كونه كتاب هداية وبيان ونور، ولا ينافي ذلك أبداً وجوب التدبّر في آياته والغوص في أعماقه واستخراج مكنوناته، فإنّ الطريق إلى معرفة المعاني المقصودة في الآيات المتشابهة مفتوح وذلك عن طريقين:

الأول: ردّ المتشابه إلى المحكم، وتفسيره على ضوء ما هو مبيّن في الآيات المحكمات، فهي التي تحدّد المقصود وتبيّن المراد.

الثاني: الرجوع إلى الراسخين في العلم: وهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته المعصومون عليهم السلام ورثة علمه وباب مدينته وخزّان وحيه.

وقد ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: **«إنما يعرف القرآن من خوطب به»**[2].

فالمتشابه، ليس متشابهاً بقول مطلق، لأن تشابهه مرتفع عند أهله، وقد ورد في الأثر عن الإمام الصادق عليه السلام: **«المحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله»**[3].

(1) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج3، ص170.
(2) الشيخ الكليني، الكافي، ج8، ص311.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج69، ص93.

فقولـه عليه السلام: «**علـى جاهلـه**» يـدل علـى أنه غيـر متشابه عنـد العالـم به وهم الراسخون في العلم.

وفـي الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «**من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم**»[1].

ومـن هذه النصوص نستفيـد أن الآيات المتشابهة هي الآيـات التي لا تستقل في مدلولها بل لا بد من ردّها إلى الآيات المحكمة.

يقـول العلامـة الطباطبائي قدس سره: «**وعليـه ليس فـي القـرآن آيـة لا نتمكّن من معرفة معناها، بل الآية إمّا محكمة بلا واسطة كالمحكمات نفسها، أو محكمة مع الواسطة كالمتشابهات...**»[2].

واختصاص معرفة معاني القرآن بالراسخين في العلم لا يمنع معرفة بعض مراتب المعنى بما يتناسب مع مستوى إدراك القارئ المتدبّر في القرآن، وإلا فمراتب المعنى عديـدة وكثيرة تختلف عمقاً ولا يمكن إدراك مداها إلا لمن خصّ بالمنزلة العليا من الكمال البشري وهم الراسخون في العلم. وهذا لا علاقة له بالإحكام والتشابه وإنما هو يجري في كل آية من آيات الكتاب.

أهل الزيغ والمتشابهات

يقـول الله تعالـى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ ﴾[3]. وهذه الآية الشريفة تقسم مواقف الناس في تعاملهم مع متشابه القرآن

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج2، ص185.
(2) العلامة الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص49.
(3) سورة آل عمران، الآية: 7.

ومحكمه إلى قسمين: قسمٌ هم أهل الزيغ والضلال، وقسم هم الراسخون في العلم.

وأمّا القسم الأوّل فهم إمّا أهل الظاهر الذين يقفون عند ظاهر اللفظ دون الاهتمام بما ينتج عن ذلك من مخالفة صريحة للمحكمات، والالتزام بما لا ينسجم مع العقائد الأساسية الثابتة بالعقل والنقل.

وأمّا أهل الزيغ ومرضى القلوب الذين تحدّثت عنهم الآية، فهؤلاء يتعمّدون التحريف والتأويل والتصرّف في المعاني بحسب أهوائهم.

ولقد تسبّب أهل الزيغ في خلق حالة التشكيك والخفاء في الآيات المتشابهة نتيجة الخوض في الشبهات والسجالات الكلامية، وأبعدوا بذلك المعاني القرآنية عن متناول الأيدي بالنسبة للكثيرين.

ولأجل ذلك كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يوصي ابن عباس عندما بعثه إلى الخوارج للاحتجاج عليهم: «**لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنّة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً**»[1].

والآية الشريفة لم تنهَ عن الاستفادة من الآيات المتشابهة في المحاججة كما توهّم بعضٌ، وإنّما ذمّت الذين يلجؤون إلى التشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل بما يتناسب مع أغراضهم الدنيئة.

أمّا العمل بالمتشابه بعد ردّه إلى المحكم أو رفع تشابهه عن طريق الرجوع إلى الراسخين في العلم، فهو مما لا ريب فيه ولم ينه عنه القرآن ولا منع منه.

فالقرآن «**يشهد بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض**» [2] كما روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(1) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، الوصية 77.
(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج92، ص22.

التأويل في القرآن

التأويل: مأخوذ من مادة آل إذا رجع، فكأن التأويل إرجاع اللفظ إلى معناه المراد واقعاً.

قال الخليل الفراهيدي: التأوّل والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلاّ ببيان غير لفظه [1]. وهذا هو المقصود في الآية التي تعرّضت لتأويل المتشابه.

وقد وردت مادة التأويل في القرآن الكريم 71 مرة، يمكن إرجاع الجميع إلى معنى واحد وهو كشف ما كان غامضاً في فعل أو لفظ أو غيب. وهذا ينسجم مع المعنى اللغوي.

وأما في لسان المفسّرين فهناك ثلاثة استعمالات للتأويل:

الأول: تأويل المتشابه وبيان الوجه فيه والمعنى المراد منه وهو مختصّ بالآيات المتشابهة.

الثاني: بمعنى التفسير سواء كان اعتماداً على مداليل الألفاظ أو غيرها من الوسائل والطرق، وهذا أعم من الاستعمال السابق.

الثالث: بيان المعاني الباطنة للقرآن الكريم، فإن القرآن على ما ورد في الأثر له ظهر وبطن، بل بطون متعدّدة.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن وما من حرف إلا وله تأويل، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**»[2].

(1) الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج8، ص369.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج33، ص155.

وسئل الإمام الباقر عليه السلام عن هذه الرواية فقال: «**ظهر وبطن هو تأويلها، منه ما قد مضى ومنه ما لم يجئ... ونحن نعلمه**»[1].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن... وله ظهر وبطن ظاهره حكمة وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق**»[2].

لماذا كان في القرآن آيات فيها تأويل؟

القرآن الكريم تبيان كل شيء، ولا يمكن بيان كل شيء لكل أحد، نظراً لاختلاف مستويات الناس من حيث القدرة على الإدراك.

فمن الناس من لا يدرك حتى الظاهر منه.

ومن العلماء من يقتصر على إدراك الظاهر؛ لأنّه يعجز عن خوض غمار الباطن، ومنهم من ينكشف أمامه بعض مراتب الباطن وطبقاته.

ومنهم الراسخون في العلم الذين أَوغلوا فيه وسبروا أعماقه.

وهذا الأسلوب القرآني يعدّ من وجوه الإعجاز فيه حيث يخاطب الناس كلهم على اختلاف مداركهم بكلام واحد يتضمّن مستويات من العلم والحكمة والمعارف.

فالقرآن كله نور وبيان وهدى، والخفاء الحاصل من بطونه ناشيء من قصور في مداركنا وعقولنا المحدودة، وليس من قبل القرآن نفسه.

الراسخون في العلم

تشير الآية المتقدّمة في مستهل الفصل إلى اختصاص معرفة التأويل بالله والراسخين في العلم. لكن الذين وضعوا علامات الوقف في القرآن الكريم أثبتوا

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج23، ص197.

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار،ج92، ص17.

عنـد لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] وقفاً لازماً، ليجعلوا مـا بعد لفظ الجلالة كلامـاً مستأنفاً في محاولة لتخصيصـ معرفة تأويل المتشابه بـاللّه عزّ وجلّ، وإغلاق بـاب الوصول إليه على البشر جميعاً، جمـوداً على المتشابه وسـدّاً لبـاب التأويـل، ولا نشـكّ بـأنّ الدافـع الأساس لهـذا الأمر هـو الحسد لأهل البيت عليهم السلام الذين ورد أنهم هم الراسخون في العلم.

والحقيقـة أنّ هـذا العمـل يفتح المجـال أمام التسـاؤل عن فائـدة إدراج الآيات المتشابهـة في القرآن الكريم مع كونها لا يعلـم تأويلها إلا اللّه، وكيف يمكن أن يكون الكتاب كل الكتاب كتاب هداية وبيان، وكيف يمكن الأمر بتدبر آياته كل آياته.

فالصحيـح أنّ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ معطوفة على «**الله**»، فـي الآية، فهم يعلمون بتعليـم منه بلا شـك تأويل المتشابـه بل البطـون العميقة للقرآن الكريـم[2]. وليس هنـاك أي إشكال نحوي في جعل جملة «**يقولون آمنا به**» **مستأنفة، فاعلها يعود إلى الراسخين أنفسهم.**

من هم الراسخون؟

يقـول الإمام البـاقر عليه السلام كما في الرواية: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الراسخين فـي العلـم، قـد علم جميع ما أنـزل الله من التنزيـل والتأويل، ومـا كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله**»[3].

(1) سورة آل عمران، الآية:7.
(2) ليسـ مـن الأكيد أن ذلـك حصل بسبب تحصيل المعرفة بـالله فقط مع ذهاب بعض مفسـري الشيعة إلى ذلك وأن هنـاك آيـات أخرى تدل على علمهم بالتأويل يمكن معالجة ذلك من باب الإطلاق والتقييد أو العام والخاص القرآني الذي استخدم بشكل كبير فيه وعدم اللجوء إلى مثل هذا التبرير.
(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج92، ص80.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الله علّم نبيه التنزيل والتأويل فعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام وعلّمنا والله**»[1].

وأما الروايات التي تصرّح بأنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم الراسخون في العلم فكثيرة جدّاً ومستفيضة.

نماذج من الآيات المتشابهات

1- قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[3].

وأمثال هذه الآيات التي عبّرت بالاستواء.

ولا شك أن الاستواء على العرش بمعنى الجلوس عليه غير جائز عليه تعالى، فلا بد من حملها على معنى السيطرة والاستيلاء والقدرة، وهو معنى نستفيده من الآية الشريفة: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[4]، وما ورد في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**... ومن قال: فيم؟ فقد ضمّنه، ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه...**»[5].

ولكن الذين عجزوا عن التأويل توهّموا عدم اطلاع أحد غير الله عليه، فقالوا كما روي عن مالك بن أنس أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[6] كيف استوى؟ فأجاب بعد أن أطرق برأسه: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً...

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار ج26، 173.
(2) سورة طه، الآية: 5.
(3) سورة الأعراف الآية:54، سورة يونس، الآية:3، سورة الرعد، الآية:2، سورة الفرقان، الآية:59.
(4) سورة الشورى، الآية:11.
(5) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، الخطبة الأولى.
(6) سورة طه، الآية:5.

ثم أمر بالرجل فأخرج من المسجد[1].

وهذا النوع من الاستعمال المجازي معروف عند العرب، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق[2]

2- قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3].

فإن النظر هنا ليس نظر الجارحة ولا نظر الرؤية، وذلك لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[4].

والمؤسف أن الغفلة والجمود دفعا البعض إلى مخالفة صريح هذه الآية المحكمة تمسّكاً بالمتشابه في الآية السابقة، فادعوا إمكان رؤية الله تعالى، مع أن النظر لا يلزم منه الرؤية، ومع ذلك يمكن حمله على النظر إلى رحمة الله تعالى وجميل وعده نظر انتظار.

3- قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[6].

فلا يعقل أن يكون له سبحانه يداً أو رجلاً أو ما شابه ذلك، لأنه يستلزم الجسمية، والجسم يملأ حيزاً، وهو سبحانه وتعالى لا جسم له ولا حيّز له ولا مكان، وإنما هو خالق كل شيء، تعالى الله عمّا يصفون علوّاً كبيراً.

(1) السيوطي، الدر المنثور، ج3، 91.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص414.
(3) سورة القيامة، الآيتان: 22 - 23 .
(4) سورة الأنعام، الآية: 103.
(5) سورة المائدة، الآية: 64
(6) سورة الفتح، الآية:10.



أسئلةٌ حول الدّرس

1 - ما هو المحكم؟

....

....

2 - ما هو المتشابه؟

....

....

3 - ما هي الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم؟

....

....

4 - ما هي الطرق التي نستخدمها إذا واجهنا آيات متشابهات في القرآن الكريم؟

....

....

5 - من هم الراسخون في العلم؟ وما هو دورهم في التأويل وردّ المتشابه إلى المحكم؟

....

....

أجب بـ ✔ أو ✖ :

1 - المتشابه هو ما يحتمل وجوهاً متعدّدة من المعاني. ☐

2 - عند وجود الآيات المتشابهة والمحكمة فإنه لا بد من ردّ المحكم إلى المتشابه. ☐

3 - أهل الزيغ هم مرضى القلوب الذين يحتاجون إلى علاج بالحجّة والبرهان. ☐

4 - مشكلة أهل الجدل والمذاهب الكلامية أنهم يتجاوزون ظاهر الألفاظ القرآنية إلى المعاني الباطنية التي لا توافق العقل والسنة. ☐

5 - إن الرجوع إلى الراسخين في العلم يعني الرجوع إلى كل من له علم ودراية بعلوم القرآن ومعاني آياته الكريمة. ☐

حدّد موضع التشابه في الآيات التالية وكيف تجيب عنها:

1 - ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[1].

....

....

....

2 - ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾[2].

....

....

....

(1) سورة الأعراف الآية:54، سورة يونس، الآية:3، سورة الرعد، الآية:2، سورة الفرقان، الآية:59.
(2) سورة الفتح، الآية:10.



الدّرس الثاني عشر

الإعجاز القرآني



أهداف الدرس

1 - أن يتعرّف الطالب إلى معنى الإعجاز العام والإعجاز القرآني.

2 - أن يدرك الهدف من الإعجاز.

3 - أن يتعرَّف إلى مذهب الصرفة في الإعجاز.

تمهيد

يعتبر بحـث الإعجاز من أهمّ الأبحاث في علوم القرآن الكريم، وهو من الأبحاث التي تعرّض لها العلماء قديماً، ولا يستغني عنها أي طالب في علوم القرآن، وقد ذكر هـذا البحث أيضـاً في علم الكلام عند التعرّض للأنبيـاء عليهم السلام، وأن بعض الأنبياء كان لديهم بعض المعجزات بما تتناسب مع عصرهم، فاضطر علماء الكلام للدخول فـي بحث المعجزة من جهة اقتـران هذا البحث بالنبوة وضرورتهـا وعلامتها، وأما فـي علوم القرآن فالتعرّض للإعجاز كان بما يتناسب مع القرآن الكريم وأنه معجزة النبـيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه النبيّ الخاتم، ورسالته خاتمة الرسالات، فمن الطبيعي جدّاً أن يأخذ بحث الإعجاز القرآني مكانة خاصة في هذا العلم.

معنى الإعجاز

الإعجاز في مصطلح علوم القرآن الكريم هو:

أن يأتـي المدّعـي لمنصب من المناصـب الإلهية (كالنبوّة) بمـا يخرق العادة، ويعجز عنه غيره من البشر كشاهد ودليل على صدق دعواه.

فعلى النبيّ الذي يدّعي النبوة أن يأتي بأمر يعجز الناس عن الإتيان بمثله، ويكون هـذا الأمر على خلاف قوانين الطبيعة، ويوافق دعواه ويكـون بهدف إقناع الناس به لهدايتهم إلى الطريق الحق.

وعليه فعناصر المعجزة هي:

1- عجز البشر عن الإتيان بمثل المعجزة.

2- تكون خارقة لقوانين الطبيعة المعروفة.

3- عدم استحالتها عقلاً.

4- أن تكون في سياق إثبات صدق مدّعي النبوة أو غيرها من المناصب الإلهية.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنّ المعجزة لا تلغي قانون العلية ولا تخرج عنه، وإنّما هي تستند إلى علّة غير العلل المعروفة والطبيعية عند البشر. ولو كانت إلغاءً لقانون العلية لاستحالت عقلاً، وعندئذ يسقط عنصر مهمّ من عناصر المعجزة.

فولادة إنسان من غير أب لا يستحيل عقلاً، لأن خالق الإنسان الذي أوجده وخلقه من طين ابتداءً بإمكانه خلقه من غير أب بالأولوية، لكن المعتاد في الأسباب والقوانين الطبيعية أن يولد الإنسان من أبوين، فإذا ولد النبيّ عيسى عليه السلام من غير أب كان خرقاً لنواميس الطبيعة المتعارفة والمعتادة، لكن علة الخلق وأسبابه محفوظة بتمامها.

وهكذا بالنسبة لكلامه عليه السلام في المهد وإحيائه الموتى وأمثال ذلك.

الهدف من المعاجز

ليس من الضروري أن لا يؤمن الناس بالنبيّ إلا من خلال المعجزة وبعد مشاهدتها، نعم قد ينحصر الطرق أمام بعض الناس في إثبات صدق مدّعي النبوة بالإتيان بالمعجز، لكن البعض الآخر من الناس قد يتمكن من معرفة صدق النبيّ والركون إليه والاطمئنان إلى صحة دعواه دون حاجة إلى معجزة أبداً.

فلم يكن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحاجة إلى معجزة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أجل

الإيمان به وتصديقه، بل الثابت أنه آمن وصدّق وتيقّن دون انتظار، وكذلك كان إيمان وتصديق خديجة رضوان الله عليها.

بـل الكثير من النصوص والروايات تحكي لنا إيمان العديد من أهل الكتاب بمجرد عرضـ الإسلام ومعارفه السامية عليهم، أو من خـلال اطلاعهم على مبلغ علم النبيّ دون انتظـار المعجـزة، وأحياناً كانت سجايـا النبيّ ﷺ وأخلاقه الرفيعـة تشكل باباً لاختبـار صدقـه، لأن كل هذه الأمور من شأنها أن تقود إلى نوع من الاطمئنان والإيمان الواعي.

وأحيانـاً أخرى كانت صفات النبيّ ﷺ المذكـورة في الكتب السابقة باعث إيمان عند من اطلع عليها ولم يبتلى بالعصبية والعناد.

ومع ذلك فإن المعجزة هي دليل قاطع على صدق النبي، والحجة الدامغة على من ينكر ويجحد.

كيف تكون المعجزة دالة على صدق النبي؟

المفروضـ أن مـا يأتي به النبيّ لإثبـات صدقه يعجز عنه البشـر (وهذه مقدمة وجدانية).

ولو كان ما جاء به بقدرة بشرية لما عجز غيره عن الإتيان بمثله (لأن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد).

النتيجة إن ما جاء به النبيّ ﷺ ليس بقدرة بشرية.

هذا الدليل استثنائي يمكن صياغته بعبارة أدقّ:

لو كان ما جاء به النبيّ بقدرة بشرية لما عجز عنه غيره، لكنهم عجزوا عنه.

النتيجة: فهو ليس بقدرة بشرية.

لكن من أين حصل للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذه القدرة الخارقة؟

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حسب الفرض يدّعي اتصالاً بما وراء الطبيعة، بل بخالق الطبيعة ومدبّرها، وأنه نبيّ مرسل من قبله برسالة ليبلغها إلى الناس، فإذا كان صادقاً فاللازم أن يخصه المرسِل بقدرة خاصة تثبت صدقه واتصاله الخاص به، وهي القدرة على الإتيان بالمعجز أو إجراء المعجز على يديه بعبارة أدق.

هذا النحو من الاستدلال تشير إليه الآية الكريمة التالية:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

تنوّع معاجز الأنبياء عليهم السلام

روي أنّ ابن السكيت قال للإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام: لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء والعصا وآلة السحر، وبعث عيسى بآلة الطب وبعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالكلام والخطب؟!

فقال أبو الحسن عليه السلام: «**إن الله تعالى لما بعث موسى عليه السلام كان الأغلب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله تعالى بما لم يكن عند القوم وفي وسعهم مثله، وبما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم، وإن الله بعث عيسى في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله تعالى بما لم يكن عندهم مثله وبما أحيى لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجة عليهم. وإن الله تعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام والشعر فأتاهم من كتاب الله والموعظة والحكمة ما**

(1) سورة هود، الآيتان: 13و14.

أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم»[1].

أوضحَ هذا النص الحكمة من تنوّع المعاجز من نبيّ لآخر ومن زمن لآخر، حيث إنه ينبغي أن تتوفّر السنخية بين المعجزة والفن الذي يبرع به أهل الزمان، لأن أهل الفن هم الأقدر على تمييز المعجز من غيره والصحيح من الزيف، ويرجع إلى أهل الخبرة عادة في تشخيص الحالات المشكلة والصعبة، فالطبيب هو الأقدر على إدراك حالات الشفاء الخارقة للعادة والتي لم تتم بالأصول والأسباب المعروفة عند علماء الطب، والساحر أقدر على كشف السحر وفضح أسراره وتمييزه عن المعجزة، ومن هنا كان أول من آمن بالنبيّ موسى عليه السلام بعد المواجهة المعروفة هم السحرة أنفسهم الذين دخلوا في لعبة التحدّي، وليس ذلك إلاّ لاطّلاعهم على فنون السحر، فأدركوا أنّ ما جاء به النبيّ موسى لم يكن سحراً فآمنوا.

وهذا هو السر في جعل القرآن الكريم معجزة رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان عصر نزول القرآن من أزهى العصور في صنعة الكلام، بل لم يكن لهم من الفنون ما برعوا به سواها، حتى صاروا يعرضونها في أنديتهم وأسواقهم إلى جانب بضائعهم بل بدلاً عنها. ويفتخرون بها ويتبارون فيها.

مذهب الصرفة

حقيقة الإعجاز قائمة في كون المعجزة فوق قدرة البشر، وإعجاز القرآن الكريم من هذا القبيل، حيث إنه على مستوى البلاغة وغرابة النظم والأسلوب العجيب وما تضمّنه من معارف عالية وإخبارات غيبية تشكّل في مجموعها معجزة، بل يمكن القول بأن القرآن الكريم في كل واحد من هذه الجوانب بلغ حدّ الإعجاز.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج11، ص70.

ومع ذلك فقد ذهب جماعة من العامة منهم النظام ومن الخاصة السيد المرتضى رحمه الله إلى ما يسمى بمذهب الصرفة، فزعموا أن الإعجاز: قائم في صرف الناس عن معارضة القرآن الكريم مع عدم استحالة الإتيان بمثله من قبلهم بحسب قدراتهم وإمكانياتهم الذاتية لولا الصرفة.

والذي دعاهم إلى هذا القول أنهم توهّموا أن العرب آنذاك كان عندهم العلم بنظم القرآن والعلم بكيفية تأليف كلام يساويه أو يدانيه، والمعتاد أن من كان عنده هذان العلمان يتمكّن من الإتيان بالمثل، ومع ذلك لم يقدروا على المعارضة والإتيان بالمثل رغم محاولتهم واحتياجهم إلى ذلك في مقارعتهم له، فلا بد أنه تعالى أزال عن قلوبهم تلك العلوم وأعجزهم عن المعارضة وصرفهم عن ذلك.

الردّ على القول بالصرفة:

1- لا نُسلّم أن العارف بوجوه البلاغة ونظم الكلام من العرب يمكنه الإتيان بمثله، والبلاغة هي صياغة كلام مطابق لمقتضى الحال، وهو أمر يختلف باختلاف مقتضيات الأحوال. ومهما بلغت قدرات البشر فإنهم يتمكّنون من تأليف كلام على نظم يتوافق مع ما يدركونه ويلاحظونه أو يهتمّون به من مقتضيات الأحوال.

أما القرآن الكريم الذي حوى من المعارف ما لا يمكن أن يحويه كلام أحد، وخاطب البشر كل البشر بلسان واحد، فهو في آن واحد يراعي مقتضى حال العوام والخواص، البسطاء والبلغاء، الراسخين في العلم ومن لم يؤتوا إلا الحظ القليل، وضمن الكلام الواحد من المعارف والمعاني ما لا ينقضي ولا يحدّ. وهذا هو الإعجاز البلاغي الخاص بالقرآن.

2- إن الصرفة لو تحقّقت بعد البعثة لكان بالإمكان أن نجد بين القرآن وبين ما تقدّم على البعثة من كلام البلغاء نوع تشابه وتقارب أو تماثل، فتبطل به المعجزة،لإمكان

أن يجاب عن تحدّيه بأنّ العرب جاءت بمثله، وبه يسقط إعجازه، وهذا لم يحصل في زمن التحدّي لكل العرب.

3- لو كان إعجاز القرآن بالصرفة لكان الأولى في الإعجاز أن يكون عن الإتيان بالركيك من الكلام لا البليغ ولا ذي النظم العجيب. فإن إعجاز الناس عن الإتيان بما هو سهل يسير في العادة أبلغ في الحجّة من إعجازهم عن العالي العزيز.

الشواهد على بطلان مذهب الصرفة:

من الشواهد على بطلان مذهب الصرفة وكون الإعجاز في النظم القرآني الخاص:

أ. ما نقل من قصة الوليد بن المغيرة عندما قرأ عليه الرسول ﷺ شيئاً من القرآن، قال لقومه: فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منّي ولا أعلم برجز ولا بقصيدة منّي ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وأنه ليعلو وما يعلى، وأنه ليحطم ما تحته.

فقال له أبو جهل: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكّر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره. فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا .. ﴾[1].

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري[2].

وهناك الكثيرُ من الحالات التي أسلم فيها أناس أو أقرّوا بأنه ليس من كلام البشر بمجرّد سماعه وهو ينافي مذهب الصرفة.

(1) سورة المدثر، الآية:11.

(2) الحاكم، المستدرك على الصحيحين ج2، ص507، السيوطي، الدر المنثور، ج6، ص283.

ب. يـروى أن المشركين كانوا يطردون الناس عن رسول الله ﷺ إذا رفع صوته بالقـرآن، وكانوا يشوّشون عليه بالصفير والصفيـق لئلّا تسمع قراءته، لأن القـرآن كان بنفسه ينادي بأنـه كلام رب العالمين، وبلاغتـه وبيانه ونظمه ليسـت من النوع المألـوف وما اعتادته أسماعهم وكل هـذا يكشف عن كون الإعجاز في نفس القرآن الكريم لا في صرف الهمم عن معارضته.

آيات التحدّي

1- الآيـة المتقدّمـة: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (1).

2- قولـه تعالـى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾(2).

3- قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ (3).

4- قوله تعالـى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (4).

5- قولـه تعالـى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾(5).

(1) سورة هود، الآية: 13.
(2) سورة الإسراء، الآية:88.
(3) سورة البقرة، الآيتان: 23 و 24.
(4) سورة يونس، الآية: 38.
(5) سورة الطور، الآيتان:33 و 34.

هـذه الآيـات الخمس ترتيبها بحسـب تسلسل النزول (طبقاً لمرويـات السنّة في هذا المجال فليس عندنا فيه شيء يذكر) الثانية ثم الرابعة ثم الأولى ثم الخامسة ثم الثالثة.

وهذا يعنـي أن التحدّي يبدأ بتمام القرآن (النازل منه طبعاً)، ثم بسورة واحدة، ثم بعشر سور، ثم بجميعه ثم بسورة واحدة. (الإسراء، يونس، هود، الطور، البقرة).

لكن القرآن لما كان اسم جنس ينطبق على بعضه حقيقة فالتحدّي إذن تارة بمطلق القـرآن الـذي يقبل الانطباق على أي سـورة أو أي جزء منه، وأخـرى بعشر سور وثالثة بسـورة واحدة. وليس هنا من تدرّج في التحدّي بنـاءً على تسلسل النزول المتقدّم، وإن تحـدّث عنه الكثيرون. نعم إذا أسقطنا اعتبار ترتيب النزول وأخذنا الآيات مجرّدة عن زمان نزولها فهناك مراتب للتحدّي يمكن أن توصف بأنها نحو من أنحاء التدرّج.

ومهما يكن فإن التاريخ لم يحدّثنا عن أية معارضة للقرآن أدّت إلى التشويش على عظمة القرآن وإلى إيجاد شبهة أمام إعجازه وتحدّيه.

نعم هناك ما يُسمّـى تسامحاً معارضات، لكنها مثار السخرية وتدلّ على سذاجة أصحابها نقل منها شيء عن مسيلمة الكذاب وأبي الطيب المتنبي وأحد المسيحيين فـي رسالـة حسن الإيجـاز وهي لا تستحـقّ الوقوف عندهـا وإطالة الـكلام بذكرها وتضييع الوقت بنقلها[1].

أبعاد الإعجاز القرآني

دراسة أبعاد الإعجاز القرآني تحتاج إلى ملاحظة أمور:

1- إن القـرآن جاء ليخاطب البشر جميعاً بل الجـن أيضاً، فلا يختصّ بأمّة دون أمة ولا جماعة دون جماعة.

(1) راجع، البيان للسيد أبي القاسم الخوئي،ص93-94، التمهيد للشيخ محمد هادي معرفة، ج4، ص227.

﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[1].

2- من حيث البعد الزماني يخاطب كل الأزمان منذ البعثة وحتى قيام الساعة.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[2].

3- ومن حيث البعد الموضوعي هو شامل لكل شيء.

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[3]. ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[4].

4- النبيّ المرسل الذي جاء به لم يتعلّم عند أحد ولم يتلقّ معرفة من أحد من البشر بل كان أمياً لا يقرأ.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[5].

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[6].

فبعد ملاحظة الأمور الأربعة نجد أن القرآن الكريم جاء به من لم يتلقّ العلم من أحد من البشر، وعلى هذا المستوى الذي أعجز أهل البيان والبلاغة، وبلاغته بلحاظ الأمور الثلاثة الأولى أكبر من أن توصف أو أن تقارن ببلاغة البشر. والإعجاز البلاغي لا يقاس بالنظم والفصاحة والمحسنات البديعية فقط دون ملاحظة المعاني التي يراد صياغة الكلام لبيانها وإيصالها إلى المخاطب، فإن جمال السبك وحسن النظم ينبغي أن يضاف إليه الانسجام التام مع المؤدّى وكونه قادراً على إبلاغ المعنى وإيصاله.

(1) سورة الطور، الآية:34.
(2) سورة الأنعام، الآية:19.
(3) سورة الأنعام، الآية: 38.
(4) سورة النحل، الآية:89.
(5) سورة النحل، الآية: 103.
(6) سورة العنكبوت، الآية: 48.

شروط دلالة الكلام:

كما أن لدلالة الكلام على المعنى في مقام التفهّم والتفهيم شروطاً:

1- أن يكون اللفظ قادراً على تحمّل المعنى المطلوب: فقد اعتمد القرآن اللغة العربية بما لها من خصائص ومميّزات؛ فهي أقدر اللغات على تحمُّل المعاني.

2- أن يكون الكلام موائماً لشخصيّة المتكلّم، مقدّراً بقدره، وموزوناً بما تكتنفه هذه الشخصيّة من علم وقدرة وسعة وإحاطة وغير ذلك من الصفات.

3- أن يكون ذلك المعنى منسجماً أيضاً مع نوعية اختصاص المتكلّم ومع مراميه وأهدافه: فهناك انسجام تام بين القرآن والهدف الذي أنزل من أجله.

4- قدرة المخاطبين على استيعاب المقصود ولو على امتداد الزمن: فيلاحظ فيه أنه يناسب جميع المخاطبين، ويعطي كل مخاطب ما يناسبه.

وبهذا يتجلّى الإعجاز البياني فيه، الذي تمكّن أن يؤدّي المعارف المتنوّعة والسّامية التي تناسب كل مستويات البشرية، والإشارات العلمية وأسرار الخليقة وأصول النظام الكوني، وفي الوقت نفسه يخاطب الجميع دون أن يكون ذلك مخلّاً بإمكانية إيصال المطلوب إلى أهله، فهو يوصل لعوام الناس سهمهم من المعارف، ويوصل إلى ذوي البصائر والعقول العلمية حصّتهم.

وهناك جوانب إعجازية أخرى تتمثّل في الاختبارات الغيبية والكشف عن الجوانب الخفية من قصص الأنبياء والأمم السالفة، والإشارات العلمية، والحديث عن أسرار الكون بما لم يكن معروفاً عند علماء الطبيعة والفلك آنذاك وغيرها من الوجوه، وأهمّها هو الإعجاز البياني الذي قدمنا الحديث عنه وهو لعلّه يشمل كلّ هذه الجوانب لأنّها داخلة في مفهوم البلاغة والأهداف القرآنية.

فـي ختام بحث الإعجاز ننقل عبـارة الإمام الخميني قدس سره التي تتحدّث عن وجه من وجوه الإعجاز في القرآن:

«إن القـرآن الشريـف قد جمع من لطائف التوحيد وحقائقه وسرائره ودقائقه مـا تتحيّـر فيـه عقـول أهل المعرفـة، وهذا هـو الإعجـاز العظيم لهـذه الصحيفة النورانيـة السماويـة، لا أنّ حسـن التركيب ولطف البيان وغايـة الفصاحة ونهاية البلاغـة وكيفية الدعـوة والإخبار عن المغيّبـات وإحكام الأحـكام وإتقان التنظيم للعائلة وأمثالها فحسب، التي يكون كلّ واحد منها باستقلاله إعجازاً فوق الطاقة وخارقـاً للعـادة، بـل يمكن أن يقـال إن معروفيـة القـرآن بالفصاحـة واشتهار هذا الإعجـاز مـن بين سائـر المعجزات في الآفاق لأنّه كان للأعـراب في الصدر الأول هـذا التخصّـص، وأدركوا هذه الجهة مـن الإعجاز فحسب، وأمـا الجهات الأخرى المهمة التي كانت فيه وكانت جهة إعجازها أرفع، وأساس إدراكها أعلى فلم يدركها أعـراب ذلـك الزمـان، والحـال أن المتحدّين منهم فـي أفق الفهـم لا يدركون من هـذه اللطيفة الإلهية سـوى التركيبات اللفظية والمحسّنـات البديعية والبيانية، وأمّا المعترفون (ولعلّ الصحيح المتعرفون) لأسرار المعارف ودقائقها والخبراء بلطائـف التوحيد والتجريد، فوجهة نظرهم في هذا الكتاب الإلهي وقبلة آمالهم فـي هـذا الوحـي السماوي إنّمـا هي معارفـه، وليس لهـم توجه كثير إلـى الجهات الأخرى..»[1].



(1) الإمام الخميني قدس سره، الآداب المعنوية للصلاة، ص 418.

أسئلة الدرس

أسئلةٌ حول الدَّرس

1- عدّد عناصر الإعجاز وبيّن علاقة المعجزة بقانون العلية؟

....

....

2- كيف تدل المعجزة على صدق دعوى النبوة، ومن أين يحصل للنبي هذه القدرة الخارقة؟

....

....

3- ما هي الحكمة من تنوّع المعاجز من نبيّ لآخر ومن زمن لآخر؟

....

....

4- هل الإعجاز حقيقي؟ أثبت ذلك بالدليل؟

....

....

5- ما هو المقصود بالإعجاز البياني في القرآن الكريم؟

....

....

أجب بـ ✔ أو ✖:

1 - الإعجاز هو أن يأتي المدّعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة، ويعجز عنه غيره كدليل على صدق دعواه. ☐

2 - من القواعد الأساس في حقيقة المعجزة أنها تلغي قانون العلية. ☐

3 - لا يؤمن النَّاس بالنَّبي إلا من خلال المعجزة وبعد مشاهدتها. ☐

4 - ينبغي أن تتوفّر السنخية بين المعجزة والفن الذي يبرع به أهل الزمان. ☐

5 - مذهب الصرفة يعني أنَّ الإعجاز هو استحالة الإتيان بمثله من قبلهم بحسب قدراتهم وإمكانيَّاتهم الذَّاتيَّة. ☐

املأ الفراغ بالإجابة المناسبة:

البعد الزّماني- مخاطبة كل الأمم- أمية الرسول- البعد الموضوعي

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[1] ....

﴿ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾[2] ....

﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾[3] ....

﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾[4] ....



(1) سورة الأنعام، الآية:19.
(2) سورة الطور، الآية:34.
(3) سورة الأنعام، الآية:38.
(4) سورة النحل، الآية:103.





جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
بيروت - لبنان - المعمورة - الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

